عمارة المساجد في شرق إفريقيا
بين الأساليب المحلية والتأثيرات العربية والهندية

د. حمزة عبد العزيز بدر(*)

يقصد بتعبير "شرق إفريقيا" منطقتان، المنطقة الأولى هي منطقة القرن الإفريقي، والمنطقة الثانية هي منطقة الساحل الشرقي للقارة الإفريقية والجزر المواجهة لهذا الساحل والمناطق الداخلية(١)، وهي منطقة تشمل حاليًا دول أثيوبيا، والصومال، وكينيا، وأوغندا، وتنزانيا، وراوندى وبورندى، بالإضافة إلى الجزر المواجهة لسواحل تلك البلدان، وأهمها جزيرة بمبا وزنجبار ومافيا وجزر القمر ومدغشقر، والعديد من الجزر الأخرى القريبة جدًا من الساحل، والتي اعتبرها الرحالة المسلمون جزءًا من هذا الساحل، وأهمها جزيرة بمبا، وجزيرة كلوة (خريطة رقم ١).

ومن السمات البارزة لساحل شرق أفريقيا، سهولة الوصول إليه من المناطق الداخلية ومن البحر على حد سواء، وقد كانت سهولة الوصول إليه من الداخل عاملاً حيويًا في تحركات السكان إلى الحزام الساحلي، كما أنها تيسر لهم فهم التركيبة العرقية والثقافية لسكان شرق أفريقيا، ومن جهة أخرى كان البحر وسيلة الاتصال بين شرق أفريقيا والعالم الخارجي(٢).

وهي مساحة هائلة تبلغ حوالي ١,٨ مليون كيلو متر مربع، وتمتد من دائرة عرض ٤ درجة شمالاً حتى دائرة عرض ١٠ درجة جنوبًا، كما تمتد بين خطي الطول ٣٠ و ٤٠ درجة شرقا، وهي مساحة تمتد من الشرق إلى الغرب بمقدار ١١٢٠ كيلو متر في شرق القارة الإفريقية، ويفصل الأخدود الغربي بينها وبين منخفض زائيري(٣).

(*) قسم الآثار الإسلامية – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) عبدالحليم، رجب محمد ، العروبة والإسلام في شرق إفريقيا من ظهور الإسلام إلى قدوم البرتغاليين، دار النهضة العربية ١٩٩٩م، ص١٣.

(٢) أ.م. هـ. شريف: تاريخ أفريقيا العام، اليونسكو، ١٩٨٥م، المجلد الثاني، ص٥٦٧.

(٣) الحويري، محمود محمد ، ساحل شرق إفريقيا من فجر الإسلام حتى الغزو البرتغالي، دار المعارف ١٩٨٦م، ص٩.

وعلى هذه الأرض ذات المناخ الحار المطير عاشت قبائل وأجناس عديدة منذ ما قبل الإسلام، وإذا كانت الطرز والمباني الإسلامية التي انتشرت في العالم الإسلامي قد تنوعت أشكالها وعناصرها المعمارية، فإن العامل الدِيني قد وحد مضمونها وجوهرها، ومن ثمّ كان المسجد- وما يزال- يعد تعبيرًا صادقا ومباشرًا عن مفهوم الوحدة والتنوع في العمارة الإسلامية(٤).

وإذا كان تشابه العناصر المعمارية للمسجد يرجع إلى وحدة الوظيفة، فإن التنوع يرجع إلى البناء في بيئات متعددة ومختلفة؛ فالإسلام لم يقتصر انتشاره على منطقة جغرافية بعينها، وإنما انطوت تحت لوائه شعوب وأمم قطنت أقاليم ومقاطعات مختلفة في طبيعتها الجغرافية، ومتباينة في سماتها الإثنية، ومتمايزة في خصوصيتها الثقافية(٥).

وعن التباين الإثني لسكان شرق إفريقيا نشير إلى أهم العناصر والأجناس التي سكنت هذه المناطق قبل الإسلام، فمنهم الأحباش الأوائل الذين عرفوا باسم "الكوشيين"، سكنوا مناطق عرفت قديمًا باسم الحبشة، وهو اسم يعني تجمع فئات وعناصر عديدة، مما يدل على تنوع العناصر والأجناس التي يتكون منها شعب الحبشة، ولذلك يفضل الأحباش اسم أثيوبيا، وهو اسم أطلقه عليهم الإغريق، ويعني أصحاب البشرة المحروقة(٦).

---

(٤) وزيري، يحيى، العمارة الإسلامية والبيئة، الروافد التي شكلت التعمير الإسلامي، عالم المعرفة العدد ٣٠٤، يونيه ٢٠٠٤م، ص١٣٦.

(٥) السلطاني، خالد: مسجد جينية الكبير في مالي، مجلة تراث العدد ٥٠، يناير ٢٠٠٣م، ص٣٠، وقد ناقشت العديد من المؤلفات والدراسات السابقة العوامل المؤثرة في العمارة بشكل عام وفي العمارة الإفريقية بشكل خاص منها:

The Agha Khan Award of Architecture، The Changing Rural Habitat (Vol. 1- 2); Reading The Contemporary African City، Proceedings of Seminar: Architectural Transformations in Islamic World، 1981.

فريد شافعي العمارة العربية في مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٧٠م، ص٣٣٠- ٣٣٥.

(٦) عبد الحليم، رجب ، المرجع السابق، ص١٣.

كمـا سـكنت هذه المناطق قبائل رعوية اشتغلت بالرعي والتجارة وهي قـبائل العفـر والـساهو، وعرفت باسم الدناكل واستقرت في سهل الدناكل (الدناقل) والمناطق الساحلية على البحر الأحمر في المناطق المعروفة حاليًا بجيبوتـي وإرتريا، أما قبائل الصومال فقد استقرت إلى الجنوب من القبائل الـسابقة، وهـي أيضًا قبائل رعوية أطلق عليها العرب لفظ "البربر"، ومنهم أيـضًا الزيالعة نسبة إلى مدينة زيلع الصومالية، وهي قبائل عربية الأصل، والجبرتية نسبة إلى مدينة جبرت الواقعة في أثيوبيا حاليًا.

وأيـضًا قبائل الجالا في الحبشة وقبائل البجة أو البجاة، ومنهم الأمرار والبـشارية والهدندوة والحدارية، وبنو عامر، وكذلك الزنوج الذين قسمهم المـسعودي إلى ثلاثة أقسام، هي: بلاد الزنج، وسفالة الزنج، وواق الواق، وأن أقاصي بلاد الزنج إليها تقصد مراكب العمانية والسيرافيين، وهي غاية مقاصدهم في أسافل بحر الزنج[٧]

كـذلك سـكن هذه المناطق أيضًا العرب الذين هاجروا إلى شرق إفريقيا قـبل الإسـلام، واشتغلوا بالتجارة واختلطوا بالسكان الأصليين، وذابوا فيهم بـسبب قلـة أعدادهم، ومعظم هؤلاء العرب من حضرموت واليمن وعمان، وهي المناطق نفسها التي أصبحت بعد ذلك مصدرًا متزايدًا للهجرة والتجارة بعد الإسلام.

أمـا عـن ديانات هذه المناطق قبل الإسلام ففي المناطق الشمالية من شرق إفريقيا انتشرت اليهودية منذ القرن السادس قبل الميلاد، بعد أن تشتت بـنو إسـرائيل علـى يد بختنصر ملك بابل، ثمَّ المسيحية التي انتشرت في الحبشة على يد المتنصرين والتجار والرهبان[٨].

بيـنما النصف الجنوبي من منطقة شرق إفريقيا كانت ديانات ذات طابع وثنـي، وإن آمـن الـبعض بإله واحد أعلى هو خالق السماوات والأرض،

---

(٧) المـسعودي؛ أبـي الحـسن علـي بن الحسن بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت (د.ت)، جـ١، ص٦.

(8) Mircea Eliade: The Encyclopedia of Religion، Macmillan Library، USA، New York، 1995، African Religions، pp. 61- 95.

أسموه بأسماء مختلفة مثل "مكلنجو" أو "ملكنجو"، وعبد بعضهم الآخر مظاهر الطبيعة المختلفة مثل الأنهار والأشجار والكواكب والحيوانات والرعد والمطر والريح، واعتقدوا في ألوهية هذه الأشياء، وأنها آلهة تقربهم إلى الإله الكبير البعيد عن هذا العالم بعدًا شاسعًا، وهم في اعتقادهم هذا يشبهون العرب إلى حد كبير، كما عبد بعض سكان المناطق الجنوبية من شرق إفريقيا الجن وأرواح الأسلاف والأجداد، واشتغلوا بالسحر والكهانة ليتقوا شرها[٩]، مما جعل هذه المناطق مهيأة لانتشار الإسلام، خاصة وأن للعرب علاقات مبكرة مع شرق إفريقيا ترجع إلى ما قبل الإسلام كما سبق أن ذكرنا، وقد ساعدت العديد من العوامل على تأكيد وتقوية واستمرارية هذه العلاقات، وأهمها العامل الجغرافي، إذ تهب رياح موسمية (تجارية) في شهر ديسمبر من كل عام من الشمال الشرقي، وتستمر منتظمة حتى نهاية شهر فبراير، وينعكس اتجاه الريح فتصبح جنوبية غربية من شهر أبريل إلى شهر سبتمبر، مما يوفر بضعة شهور للتجارة، ومن ثمَّ فهي رياح موسمية شتوية وصيفية أفاد منها عرب جنوب وجنوب شرق الجزيرة العربية في القيام برحلتين منتظمتين سنويًا من وإلى الساحل الشرقي لإفريقيا[١٠] (خريطة رقم ٢).

وقد كانت أرض الحبشة بشرق إفريقيا أول هجرة في الإسلام، فقد كانت في شهر رجب من السنة الخامسة للهجرة، وتوالت بعد ذلك هجرات العرب والمسلمين إلى أرض الحبشة، واستقر المهاجرون العرب على طول الساحل الشرقي لإفريقيا، وإن لم يتوغلوا في داخل القارة، وقد كان هؤلاء العرب

---

(٩) عبد الحليم، رجب محمد: المرجع السابق، ص١٣- ١٩.

(١٠) عبد الحليم، رجب محمد: العمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام، مسقط ١٩٨٩م، ص١٦١- ١٧٧؛ الجمل، شوقي عطا الله: دور العرب الحضاري في شرق إفريقيا، ضمن أبحاث ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا، مركز الدراسات والوثائق برأس الخيمة، الطبعة الثانية ٢٠٠١م، ص١٣٩.

شـــديدي الارتباط بمواطنهم الأصلية في شبه الجزيرة العربية، مما حال دون ذوبانهم في الأفارقة الأصلية[١١].

وما تزال الكثير من القبائل العربية في اليمن وسلطنة عمان على صلات قوية بفروعها في شرق إفريقيا وخاصة زنجبار، وقد شيد العرب العديد من المـــدن علـــى الساحل الشرقي لإفريقيا، وقد كانت هذه المدن مستقلة إحداها عـــن الأخـــرى، وتتميـــز جمـــيعها بوقـــوعها على البحر مما يحقق الصلة المستديمة بالجزيرة العربية (خريطة رقم ٣).

غيـــر أن هـــذه المـــدن لـــم تحقق الوحدة السياسية مع بعضها البعض لـــتكونها مـــن بطـــون عربية مختلفة، كذلك أيضًا لاختلاف المذاهب الدينية لقاطنيها من أهل السنة والأباضية والزيدية[١٢].

وكـــان مـــن أهـــم نـــتائج وجود هذه المذاهب المختلفة تعدد المنشآت المعماريـــة بكـــل مدينـــة من مدن الساحل الشرقي لإفريقيا، وقد عاشت هذه المـــذاهب الـــسنية والشيعية والأباضية في هدوء وسلام بعيدًا عن التعصب المذهبـــي، ويـــرجع ذلك التعدد إلى ارتباط ساحل شرق إفريقيا في العصور الوســـطى ارتـــباطًا قويًا بالعالم العربي خاصة جنوب وجنوب شرق الجزيرة العربية حيث اليمن وعمان، ومنهما قدم المذهبان الزيدي والأباضي، والهند وجنوب آسيا ومنهما قدمت المذاهب الشيعية الإسماعيلية والاثنا عشرية[١٣].

وبصفة عامة فقد كانت مدن شرق إفريقيا مراكز لالتقاء معظم المذاهب الإســـلامية، وقـــد انعكس ذلك عن ما أنشئ بها من مساجد، فوجدت مساجد لأهـــل الـــسنة، ووجـــدت مساجد لأهل الشيعة، ومساجد أباضية، ولكل منها سماته الخاصة وإن جمعتها العناصر الوظيفية الرئيسية التي لابد من توافرها للمسجد لكي يؤدي الوظيفة المنوط به.

---

(١١) زكـــي، عـــبد الرحمن: الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة ١٩٦٥م، ص٣٩؛ الحويري: المرجع السابق، ص٤١.

(١٢) الحويري: المرجع السابق، ص٩٩.

(١٣) ياغـــي، إســـماعيل أحمد، شاكر، محمود: العالم الإسلامي الحديث والمعاصر: الجزء الثاني: قارة أفريقيا، دار المريخ، الرياض، ١٩٩٢م، ص ص ٢٦٧ ٢٦٩؛ شـــاكر مـــصطفى: موسوعة دول العالم الإسلامي ورجالها، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٣م، الجزء الثالث، ص ص ١٣٥٩- ١٣٧٨.

وتشير كثير من الدراسات إلى علاقات التسامح والسلام وروح الود والتعاون التي سادت بين الطوائف المختلفة حتى إن كثيرًا من طلاب العلم والدراسات الدينية من الأباضية تلقوا دروسهم على أيدي علماء من السنة، وكذلك طلاب من الشيعة الإسماعيلية أو الاثنا عشرية تلقوا دروسهم على أيدي علماء من السنة أو من الأباضية، وتشير وثائق الأوقاف إلى تعاون وتكاتف كافة الطوائف الإسلامية في بناء مسجد أو حمايته[١٤].

وعلى هذا الجانب الشرقي من إفريقيا اختلطت أجناس عديدة ما بين سكان أصليين، ومهاجرين عرب وآسيويين، فأما السكان الأصليون فنشير إلى أنه بصفة عامة يعيش على أرض إفريقيا ثلاث مجموعات من الأجناس البشرية هم الحاميون، والزنوج، والبانتو، بالإضافة إلى البوشمن في مناطق منعزلة بجنوب إفريقيا، وأن مصطلح البانتو في حقيقة الأمر لا يشير إلى أي جنس أو سلالة، بل اصطلاح لغوي يستخدم للدلالة على معظم الإفريقيين في شرق وغرب وجنوب القارة، وأهم عناصر البانتو الغربيون جماعات الباجندة والبانورد، وباتورد، وبانسوحا وتقطن المناطق الشمالية المطلة على المحيط الهندي[١٥].

ونتيجة للهجرات العربية المتواصلة منذ ما قبل الإسلام فإن هذه الجماعات من البانتو تتكلم بلغة تأثرت تأثرًا كبيرًا باللغة العربية، واستخدمت الكثير من ألفاظها وتراكيبها، ويجدر بالذكر أن منطقة الصومال (القرن الإفريقي) لا يعتبر أهلها من الزنج مهما بلغ لون بشرتهم من السواد فهم من أصل حامي قديم دخل شرق إفريقيا مهاجرًا من جنوب الجزيرة العربية منذ أقدم الأزمنة[١٦].

---

(١٤) عبد الله، حسن محمد: الحركة المعمارية في زنجبار، المجمع الثقافي بأبو ظبي، سنة ٢٠٠١م، ص٨٣.

(١٥) محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الإفريقية، القاهرة ١٩٦٥م، ص٥٧.

(١٦) جون جنتر: داخل إفريقيا، القاهرة ١٩٧٥م، جـ١، ص٣٩؛ الحويري: المرجع السابق، ص١١.

الهجرات العربية:

تعددت الأجناس العربية التي قطنت تلك المناطق وكان السبئيون من جنوب الجزيرة العربية هم أول من تردد من الغرب على السواحل الإفريقية منذ ما قبل ميلاد السيد المسيح، وذلك بقصد التجارة أساسًا، ثمَّ استقرت جماعات منهم واختلطوا بالسكان الأصليين، وأقاموا المحطات البحرية، وذلك منذ منتصف الألف سنة قبل الميلاد، وازدادت هذه الهجرات بعد انهيار سد مأرب سنة ١٢٠م، وكانت شرق إفريقيا واحدًا من الاتجاهات العديدة التي خرجت إليها هذه الهجرات، وذلك لسابق معرفتهم بهذه المناطق خلال رحلاتهم التجارية المستمرة[١٧].

ثمَّ تعددت الهجرات العربية بعد الإسلام، وتشير المصادر التاريخية إلى أن هذه الهجرات وأصلها:

أولاً: هجرة جماعة من بلاد الشام سنة ٧٦ هـ/٦٩٥م ويبدو أن هذه الهجرة كانت بأعداد كبيرة من العرب الرافضين لسياسة بني أمية، وعنف عمالهم وخاصة الحجاج بن يوسف الثقفي، وتقدر هذه الهجرة بعشرة آلاف رجل انتشروا على طول الساحل في لامو وبات ومالندي وزنجبار وممبسة، وكلوة[١٨].

ثانيًا: هجرة سليمان وسعيد ابني عباد الجلندي العماني سنة ٨٣ هـ/ ٧٠٢م، وقد كانت هذه الهجرة أيضًا فرارًا من جيوش الحجاج بن يوسف الثقفي الذي حاول إخضاع عمان لسيطرة الخلافة (الأموية)، وقد استقرت هذه الهجرة في لامو، وتقع في كينيا حاليًا، واستطاعوا تأسيس إمارة عربية مبكرة، مما جعل هذه الإمارة بعد ذلك مقصدًا لأهل عمان، ويمكن اعتبارها أول إمارة عمانية على ساحل شرق إفريقيا.

ثالثًا: هجرة الزيديين سنة ١٢٢ هـ/٧٤٠م، وقد تأسست هذه الفرقة الإسلامية بعد مقتل الإمام زيد بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب سنة ١٢٢ هـ/٧٤٠م، ففر أتباع الإمام زيد إلى اليمن، وفر

---

[١٧] عثمان، شوقي عبد القوي: تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، عالم المعرفة، العدد ١٥١، يوليو ١٩٩٠م، ص٨٧- ٩٧.

[١٨] عبد الحليم، رجب محمد: العروبة والإسلام، ص٥٠.

جماعة منهم إلى ساحل إفريقيا الشرقي، واستقروا جنوب الصومال في شجايا وبورت وانفورد بالقرب من مدينة مقديشو الحالية، واستطاعوا تكوين إمارة عربية إسلامية عرفت باسم "إموزيديج" (أمة زيدية) (١٩).

رابعًا: هجرة الحُرث من الإحساء سنة ٢٩٥ هـ/٩١٣م وهم بنو الحارث في الإحساء والبحرين، وكانوا مؤيدين للخلافة العباسية باعتبارهم من أهل السنة، واضطروا إلى الفرار والهروب من القرامطة الشيعة الذين سيطروا على هذه المناطق واضطهدوا أهل السنة.

وتذكر المصادر التاريخية أن هذه الهجرة تمت في ثلاث سفن محملة بالمحاربين والمهاجرين، نزلوا على ساحل بنادر الصومال وتحالفوا مع الصوماليين السكان الأصليين لهذه البلاد، وأجبروا الزيدية الشيعة على الهجرة إلى المناطق الداخلية، وأسسوا مدينة مقديشو سنة ٢٩٥ هـ/٩٠٧م، واتخذوها عاصمة لهم، وبنوا مدنًا أخرى مثل "براوة" و"مركة" و"قرفاة" و"جليب" وبندر شيخ وغيرها(٢٠).

واستطاعوا تأسيس سلطنة إسلامية هي سلطنة مقديشو، وحكموا البلاد بالشورى عن طريق مجلس من الأشراف وأعيان القبائل للنظر في أمور البلاد، وقد كانت مقديشو سلطنة إسلامية عندما زارها ابن بطوطة في الربع الأول من القرن الثامن الهجري، إذ يذكر أن سلطان مقديشو يلقب بالشيخ واسمه "أبو بكر بن الشيخ عمر"، ويبدو أن الحكم كان قد انتقل من أيدي

---

(١٩) الزيدية هم أتباع الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة عليها السلام، ولم يجوزوا الإمامة في غيرهم، ويتضح من ذلك أن مفهوم الزيدية السياسي هو أن يكون الإمام عدلاً فاطميًا، أي من نسل الحسن والحسين، وفي نطاق بني فاطمة، ولا يتولى السلطة منهم إلا من كان مجتهدًا بلغ درجة الإمام في العلوم الدينية، ويطلق على الزيدية في اليمن "الزيدية الهادوية"، نسبة إلى الإمام الهادي، الذي يعتبر عالمًا مجتهدًا في المذهب الزيدي، والذي أسس مذهبًا خاصًا به في الفروع، وقد خالف جده الإمام زيد بن علي في مذهبه، ولم يتقيد بأقواله. انظر: السروري، محمد عبده: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة المستقلة في اليمن في عهد البدويلات المستقلة من سنة (٤٢٩ هـ/ ١٠٣٧م) إلى (٦٢٦ هـ/ ١٢٢٨م)، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٩٧م، ص ص ٦٩٠- ٦٩١.

(٢٠) عبد الحليم، رجب محمد ، ص٥٣.

العرب إلى البربر، إذ يذكر أن هذا السلطان في الأصل من البربر، وكلامه بالمقدشي، ويعرف اللسان العربي، وقد أسهب ابن بطوطة في وصف مجلس هذا السلطان ورسومه[٢١].

خامسًا: هجرة النباهنة العمانية في بداية القرن السابع الهجري، وقد حدثت هذه الهجرة من عمان إلى ساحل شرق إفريقيا في بداية القرن السابع الهجري حين هاجر أحد ملوك عمان، وهو سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني وأهل بيته وجماعة كبيرة من أتباعه إلى بات في أرخبيل لامو[٢٢]، وهي منطقة تقع في كينيا حاليًا، واستطاع أن يؤسس سلطنة إسلامية في بات وأصبح هو أول سلطان لها سنة ٥٩٩ هـ/١٢٠٣م، وتعاقب عليها أكثر من ثلاثين سلطانًا، واستمرت حتى سنة ٩١١ هـ/١٥٠٦م حين سقطت تلك المناطق تحت سيطرة الاستعمار البرتغالي[٢٣].

وتشير المصادر إلى قيام سليمان البنهاني بعدة حملات سيطر فيها على العديد من المدن الساحلية شمال بات حتى مقديشو، وامتد نفوذه على مدن أوزى ومالندي وممبسة وكيوايو وكيتاو وكيرمبا ورأس دلجاو وغيرها[٢٤].

الهجرات الآسيوية:

يعتبر الهنود أهم الشعوب الآسيوية التي هاجرت إلى سواحل شرق إفريقيا في العصور الوسطى، وهم ينقسمون إلى مسلمين وهندوس، والمسلمين معظمهم شيعة إسماعيلية واثنا عشرية، وكونوا مجتمعات في جاليات مستقلة وإن ربطتها علاقات جوار وتجارة مستقرة مع الجالية

---

(٢١) ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد إبراهيم اللواتي، (٧٠٤- ٧٧٩ هـ/١٣٠٤- ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر بيروت، ١٩٩٢م، ص٢٥٥- ٢٥٦.

(٢٢) عبد الحليم، رجب محمد: العمانيون والملاحة والتجارة، ص٢٢٦؛ حبيب الخاني: دور عمان في نشاط التجارة العالمية في العصر الإسلامي الأول، حصاد ندوة الدراسات العمانية، مسقط ١٩٨٠م، ص٦١- ٦٣.

(٢٣) عثمان، عبد الرازق علي: البرتغاليون في شرق إفريقيا وطردهم منها، أبحاث ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة ٢٠٠١م، ص٤٤٥- ٤٥٤.

(٢٤) عبد الحليم، رجب محمد: العمانيون والملاحة والتجارة، ص٢٢٦.

العربية التي كونت طبقة أرستقراطية حاكمة على الساحل الشرقي لإفريقيا، ومن الجدير بالذكر أن عرب شرق إفريقيا أطلقوا على الهنود اسم بنياني Banyani [٢٥]، وهو تحريف للكلمة الهندوستانية "بنيا" Bunia ومعناها تاجر، بل ونجد هذه التسمية مستخدمة أيضًا لدى المؤرخين العمانيين أمثال السالمي وابن رزيق، وقد تميزت هذه الطائفة بالهدوء والميل إلى العزلة والحياة مع الجاليات الأخرى في سلام، واشتهروا بالمهارة في أعمال التجارة والصرافة، وكونوا ثروات وانعكس ذلك على ما شيدوه من مساجد وعمائر مختلفة[٢٦].

ومن الهجرات الآسيوية أيضًا الهجرات الملاوية، فقد ارتاد الملاويون مناطق شرق إفريقيا للتجارة، واستقروا وكونوا العديد من المستوطنات في مناطق مختلفة.

الهجرة الفارسية:

لعل أشهر الهجرات الفارسية هي الهجرات الشيرازية، حينما رحل أحد أبناء سلطان شيراز سنة ٣٦٥ هـ/٩٧٥م من بلاد فارس إلى ساحل شرق إفريقيا، وانتقل من هرمز إلى شرق إفريقيا متجنبًا مقديشو التي كان سكانها ينتمون إلى المذهب السني، ونزل في جزيرة كلوة، واشتراها من صاحبها الملك الإفريقي بكمية كبيرة من القماش، مما يشير إلى أنه كان يعمل بالتجارة، واستطاع هو وأولاده وأحفاده أن يؤسسوا سلطنة امتد نفوذها إلى عدة موانئ ومدن من "يمبا" في الشمال إلى "سفالة" في الجنوب، وكانت مدينة كلوة عاصمة لهم[٢٧].

وبالرغم من تأثير هذه الهجرة الشيرازية الفارسية على مظاهر الحياة في الساحل الشرقي لإفريقيا إلا أن الهجرات العربية التي تلتها كانت أعظم تأثيرًا وطغت عليها.

---

(٢٥) السالمي: أبي محمد عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتبة اشاعت الإسلام، دهلي، الهند (د.ت)، جـ٢، ص٥٧.

(٢٦) الحويري: المرجع السابق، ص٣٤.

(٢٧) عبد الحليم، رجب: العروبة والإسلام، ص٥٦؛ ياغي، إسماعيل، وشاكر، محمود: العالم الإسلامي، الجزء الثاني، ص ٢٦٧.

والواقع أن هذه الهجرات ذات الأعراق المتعددة عربية وآسيوية وفارسية كانت لها تأثيرات حضارية واسعة على ساحل شرق إفريقيا، فقد ترتب على استقرار العرب في شرق إفريقيا قيام تجمعات سكانية لم تلبث أن نمت وأدت إلى قيام عدد من المدن المهمة، ثمَّ أصبحت هذه المدن نواة لإمارات عربية مهمة، انتشرت على طول الساحل الإفريقي، وعمرت هذه المدن بمنازل ومساجد وحمامات وغيرها من العمائر التي تأثرت تأثرًا كبيرًا بالأوطان التي قدمت منها هذه الهجرات كما سنرى عند تناولنا لعمارة بعض المساجد بهذه المدن على الساحل الشرقي لإفريقيا، كما هو الحال في مساجد مقديشو وزنجبار وكلوة وغيرها.

كذلك تأثرت بالهجرات الأخرى غير العربية، فعلى سبيل المثال أسس تجار شيراز مسجد الأحقاف في مقديشو، بل إن مدينة "سفالة" الواقعة قبالة جزيرة مدغشقر، والتي يرجع تأسيسها إلى سنة ٣٠٣ هـ/٩١٥م تطلق عليها بعض المصادر العربية "ظفار الزنج" وذلك لارتباط سكانها بأصولهم في ظفار جنوب عمان[٢٨].

كما أن مدينة براوة يرجع الفضل في تأسيسها إلى جماعة من الإحساء قدموا إلى هذه المنطقة في أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وأما مدينة "ماليندي" وهي واحدة من أهم المدن التجارية على الساحل الشرقي لإفريقيا، فيرجع الفضل في تأسيسها إلى جماعات من العراق وأخرى من شيراز وجنوب شبه الجزيرة العربية، وفي الفترة نفسها تقريبًا أسس العمانيون مدينة "ممبسا" ويذكر البعض أنها سميت على اسم مدينة عمانية تحمل الاسم نفسه[٢٩].

والواقع أن معظم معلوماتنا عن شرق إفريقيا في العصر الإسلامي نستمدها من كتابات الرحالة من عرب وأجانب، أمثال المسعودي وابن

---

[٢٨] الجمل، شوقي عطا الله: دور العرب الحضاري في شرق إفريقيا، أعمال ندوة رأس الخيمة التاريخية الأولى ١٩٨٧، ص٣٢٥.

[٢٩] المرجع السابق، ص٣٢٦.

بطـوطة وماركوبولـو، وأيضًا المكتشفين البرتغاليين أمثال فاسكوا داجاما، ودوارت باربروسا[٣٠].

وقـد دهش البرتغاليون من المظاهر الحضارية التي لمسوها في شرق إفـريقيا، ويذكـر المـؤرخ الإنجليـزي كوبلان في مؤلفه عن شرق إفريقيا وغـزاتها: "أنـنا يجـب ألا نـندهش لما يذكره هؤلاء الرحالة عن مظاهر الحـضارة التي نقلها العرب لشرق إفريقيا، فإن العرب كانوا في ذلك الوقت حملـة لواء الحضارة في الغالب، فلا شك أن مدارس بغداد والقاهرة وتونس كانـت حتـى القـرن الثالث عشر تفوق تلك التي في اكسفورد أو أي مدينة مسيحية أخرى"[٣١].

وبالـرغم من أن العرب كانوا متمركزين في المناطق الساحلية مكونين طبقة أرستقراطية صاحبة سيادة ونفوذ إلا أنهم لم يكونوا بعيدين عن السكان أو متـباعدين عـنهم، فقـد كـان هناك تقارب وتجانس، واختلاط وتزاوج ومـصالح مشتركة، والواقع أن العرب في شرق إفريقيا كونوا إمارات عديدة متفرقة وإن اتسع نفوذ بعضها في فترة من الفترات[٣٢].

ويحدثـنا ابن بطوطة عن نظام الحكم ورسومه في إحدى هذه الإمارات، وهـي مقديـشو، ويسهب في وصف مجلس السلطان وموكبه، ويعطينا ابن بطوطة الكثير من المعلومات الأثرية المهمة، التي تؤكد على أن عمارة هذه المناطق جمعت بين الأساليب المحلية والتأثيرات الوافدة في الوقت نفسه، أو أنهـا اسـتخدمت المـواد المحلية التي توفرها البيئة، فيشير إلى مسجد في "رأس دوائـر" عـبارة عـن عريش من القصب، وأن الماء يحفظ في بيض الـنعام[٣٣]، وعـند حديثه عن مساجد ممباسا يذكر أنها مساجد من الخشب محكمـة الإتقان، وأنه بكل باب من أبواب المسجد البئر والثنتان، وأن أهلها شافعية المذهب[٣٤].

---

(٣٠) عثمان، شوقي: تجارة المحيط الهندي، ص١٦٥.
(٣١) الجمل، شوقي: دور العرب الحضاري، ص٣٢٨.
(٣٢) عثمان، عبد الرازق علي: البرتغاليون في شرق أفريقيا، ص ٤٥٣.
(٣٣) ابن بطوطة: ص٢٤٤.
(٣٤) ابن بطوطة: ص٢٥٧.

وقد حضر ابن بطوطة صلاة الجمعة بمسجد مقديشو، ووصف موكب سلطانها إلى المسجد الجامع، وتحدث عن دار الطلبة، ودار الطعام بجوار هذا المسجد الجامع، وأشار إلى وجود مقصورة يصلي بها السلطان[٣٥]، مما يشير إلى التأثيرات العربية الكبيرة على عمارة هذا المسجد الجامع.

وتتضح التأثيرات الوافدة على عمارة شرق إفريقيا عند مقارنتها بأساليب عمارة المساجد في الغرب الإفريقي الذي كان بمنأى عن هذه التأثيرات، فعلى سبيل المثال يبدو المسجد الجامع الكبير في "جينية" في مالي وهو مسجد يرجع إلى القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، ويبدو مغرقا في المحلية، وعمارته مستمدة من عمارة الأكواخ في غرب إفريقيا، ويعكس صورة واضحة لمواءمة العمران للمستلزمات الجغرافية والإثنية والثقافية التي تقتضيها طبيعة البيئة وزمن الإنشاء[٣٦].

ويتميز هذا المسجد بالواجهات المرتفعة، والتكسيات الطينية والدعامات الجدارية البارزة التي تنتهي بنهايات مدببة تجعلها تبدو كالأبراج، كما يتميز أيضًا بالروافد الخشبية الناتئة في الأركان والأبراج وعند النهايات العليا للجدران، وهي سمات معمارية إفريقية خالصة نجدها في عمارة المساجد (لوحة رقم ١) كما نجدها أيضًا في البيوت التقليدية في المناطق نفسها، خاصة بيوت كبار التجار[٣٧] (اللوحات ٢ - ٤)، وقد كانت هذه البيوت تجمع بين وظيفة السكنى والتجارة شأنها في ذلك من حيث الوظيفة شأن بيوت رشيد[٣٨].

وإذا كانت العمارة في الغرب الإفريقي أكثر تأثرًا، فإن العمارة في شرق إفريقيا وخاصة على الساحل قد خضعت لتأثيرات عديدة، أكبرها وأهمها

---

(٣٥) ابن بطوطة: ص٢٥٤ - ٢٥٥.

(٣٦) خالد السلطان: مسجد جنينة الكبير في مالي، مجلة تراث الإمارات ٢٠٠٣م، ص٣٠ - ٣٥.

(37) J. J. Guibbert، The Ecology and Ideology of Cities on The Edge of Desert، Reading the Contemporary African City، Aga Khan Award، 1983، pp. 9 – 22.

(٣٨) رشيد: النشأة الازدهار الانحسار، مجموعة باحثين، دار الآفاق العربية ١٩٩٩ م، ص١٩٦ - ٢٠٧.

التأثيرات العربية للأسباب التي ذكرناها آنفًا، بالإضافة إلى بعض التأثيرات الفارسية والهندية بحكم تعدد مصادر الهجرات إلى هذه المناطق من شرق إفريقيا.

وتقدم لنا بقايا المساجد والمقابر والنقوش، وهي الأدلة المادية التي يمكن اعتبارها مؤشرات موثوق بها تقدم لنا دليلاً على تضافر التقاليد المحلية والعناصر الوافدة في إكساب المساجد طرازها المميز. كما يلاحظ غياب كثير من أنماط العمائر الإسلامية؛ مثل المدارس والمساجد الجامعة الكبرى، وربما كان ذلك يرجع إلى قلة أعداد المصلين حتى وإن كانت الأقليات المسلمة في هذا الجزء من القارة هي أكبر الأقليات، إذ لم تكن مدن هذا الجزء من القارة مدنًا ذات كثافة سكانية كبيرة(٣٩).

كما يلاحظ أيضًا استخدام المواد المحلية في البناء مثل الشعب المرجانية وأغصان شجر المنجروف، وفي عمارة المقابر نلاحظ انتشار الأحواش والمقابر ذات الأعمدة Pillar Tombs وكلها سمات أساسية لعمارة هذه المنطقة، دخلت في نسيجها العديد من العناصر الزخرفية الوافدة مثل خشب الساج الجاوي المنحوت، وبلاطات الخزف المزجج ذات الزخارف الهندسية، وكذلك استخدام بلاطات من الخزف الهندي في زخرفة المحاريب(٤٠).

مساجد كلوة كيسيواني Kilwa Kisiwani

من المعروف أن هناك ثلاث مدن تحمل اسم "كلوة" هي "كلوة كيفنجي" و"كلوة ماتوكي" الحديثة العهد، و"كلوة كيسواني"، والأخيرة فقط هي التي تقع في جزيرة كلوة، لأن كلمة "كيسيواني" تعني (على الجزيرة) تمييزًا لها عن كلوة كيفنجي الواقعة على الساحل أي على البر الإفريقي شمال الأولى (خارطة رقم ٤)، وهي العاصمة الجديدة التي أسسها العرب، وأسسوا فيها أسرة حاكمة، وهي العاصمة التي زارها ابن بطوطة، وذكر أن سلطانها وجنده شافعية المذهب، بينما كان الشيرازيون من الشيعة الاثنا عشرية.

---

(٣٩) انظر، ياغي، إسماعيل، وشاكر، محمود: المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(40) Horton، Mark: East Africa، The Mosque، edited by: Martin Frishman and Hasan-Uddin Khan، London 1994، pp. 195 – 196.

وتقع كلوة كسيواني الآن في تنزانيا وهي على خط ٨ درجة جنوب خط الاستواء، وهي جزء من وادي غمرته المياه يشبه في حجمه وطبيعته المنطقة التي تأتي بعد ذلك في الأهمية الأثرية وهي منطقة أرخبيل لامو[٤١].

وتوجد في هذه المنطقة جزيرتان رئيستان، هما كلوة نفسها ويفصلها عن الأرض الأم قناة عميقة جدًا يبلغ عرضها حوالي ميل واحد، وجزيرة سونجو أو سونجو منارة كما تعرف حاليًا، ويفصلها عن جزيرة كلوة، قناة أخرى عميقة وترتبط سونجو بالأرض الأم عن طريق شريط ضيق في طرفها الجنوبي، وهذا الشريط تقتطعه أيضًا العديد من القنوات الضيقة، وبالرغم من المياه الضحلة في هذه القنوات إلا أنها توفر ممرًا آمنًا للسفن الصغيرة القادمة من البحر والمتجهة جنوبًا وذلك حينما يرتفع المد مما أسهم في دفع النشاط التجاري في هذه المدينة[٤٢].

وكلوة نفسها يبلغ عرضها عند طرفها الشمالي أربعة كيلو مترات، وتسعة كيلو مترات من الشمال إلى الجنوب، وجزء كبير من هذه الجزيرة عبارة عن تجويف من صخور المرجان مع تربة حمراء تغطيها الأدغال، ومن ثمَّ كان طبيعيًا أن تكون هذه المواد هي مواد البناء الرئيسية المستخدمة في عمارة هذه المنطقة[٤٣].

وتعتبر مدينة كلوا كيسواني التاريخية المتهدمة حاليًا أشهر مواقع العصور الوسطى على الشاطئ السواحلي[٤٤]، وهي عاصمة سلطنة كلوة الإسلامية التي عرفت أيضًا باسم كلوة الشيرازية نسبة إلى من أسسوها، وهم قوم أتوا من شيراز فارس، كما عرفت أيضًا باسم دولة الزنج، نسبة

---

(41) Gar Lake، Peter S.، The Early Islamic Architecture of East African Coast، The Journal of African History، Vol. 8، No. 1 (1967)، pp. 162- 163; Chittick، Neville، Kilwa: An Islamic Trading City on The East African Coast، The British Institute in Eastern Africa، Nairobi 1974، Vol. 1، p. 6.

(42) Chittick، Kilwa، Vol. 1، p.

(43) Chittick، Kilwa، Vol. 1، p.

(44) Chittick، Kilwa، Vol. 1، pp. 6- 11.

إلـى غالبـية سـكانها الذين كانوا من زنوج شرق إفريقيا، وقد قامت هذه السلطنة نتيجة هجرة علي بن حسن بن علي الشيرازي كما سبق أن ذكرنا، وقد قيل في أسباب هذه الهجرة العديد من الروايات بعضها يعتبر من قصص الأب الشعبي الشيرازي، أما الدراسات التاريخية الحديثة فتشير إلى أن سبب هـذه الهجرة هو فرار حاكم شيراز من السلاجقة، الذين استطاعوا في عهد طغـرل بـك الـسلجوقي الاستيلاء على شيراز سنة ٤٤٧ هـ/١٠٥٥م، وأن يقضوا على الدولة البويهية التي كانت تحكم إيران والعراق في ذلك الوقت، بيـنما تذكـر الـروايات المحلـية أن كلوة كان بها مسجدٌ عندما وفد عليها الـشيرازيون؛ مما يشير إلى أن مسلمين آخرين كانوا قد شقوا طريقهم إلى كلوة واستقروا بها قبل النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي(٤٥).

وعلـى أية حال فإن هذه المدينة (كلوة) تقع على مسافة مائة وخمسين مـيلاً إلـى الجـنوب مـن دار السلام عاصمة تنزانيا حاليًا، وقد تبقى بهذه المدينـة مجموعة من الآثار المتميزة من بينها مسجد جامع وعدد كبير من القـصور والآثـار المدنـية، فقد استطاعت كلوة في القرن الثامن الهجري/ الـرابع عـشر الميلادي أن تصل إلى درجة كبيرة من الثراء بفضل التجارة البحـرية مـع موزمبـيق وشمال إفريقيا وشملت هذه التجارة منتجات مثل الذهب والعاج.

وقـد اهـتم الألمـان ومن بعدهم الإنجليز بآثار هذه المناطق منذ بداية القـرن العشرين، وأجريت بها العديد من الحفائر التي كشفت عن استيطان هـذه المـناطق مـنذ القـرن ٣ هـ/٩م، وبـناء بيوت من الخشب والطين المجصص(٤٦).

أما البيوت المبنية بالأحجار والمسجد الجامع فترجع إلى القرن الخامس الهجـري الحـادي عشر الميلادي، وفي سنة ١٣٠٠م تم بناء مجمع قصر يـتكون مـن بـناءين رئيسيين، هما "حسوني كوبوا" Husuni Kubwa،

---

(٤٥) الحويـري، محمـود: المرجع السابق، ص١١٨- ١٢١؛ عبد الحليم، رجب: العروبة والإسلام في إفريقيا الشرقية، ص٣٠١- ٣٠٤.

(46) Chittick، Kilwa، Vol. 1، pp. 11 – 126; Horton، The Mosque، p. 205.

و"حسوني ندوجو" Husuni Nodogo، وتقع أطلال هذين المنزلين الكبيرين خارج المدينة الرئيسية بحوالي ثلاثة كيلو مترات، ويلاحظ على تصميم هذه المباني وعناصرها المعمارية أنها عناصر آسيوية وعربية، أما التنفيذ فقد كان بمواد محلية من الصخور المرجانية والأحجار الجيرية، ويمثل هذا المجمع من العمارة السكنية واحدة من المحاولات القليلة لإدخال عمارة أجنبية إلى سواحل شرق إفريقيا[٤٧]، وهي التأثيرات التي نجدها أكثر وضوحًا في عمارة المساجد.

المسجد الجامع في كلوة كيسيواني:

يعتبر المسجد الجامع في كلوا كيسيواني واحدًا من أهم المنشآت على الشاطئ السواحلي؛ فقد قارنه المستكشفون البرتغاليون بالمسجد الجامع في قرطبة، ويعتبر هذا المسجد ذا أهمية كبيرة في دراسة تطور عمارة هذه المنطقة فيما بين القرنين الخامس والتاسع الهجريين (١١ - ١٥م)، وذلك لأسباب عدة منها أنه أقدم المساجد التي أشارت إليها المصادر التاريخية، وأنه تعرض لإضافات وتعديلات خلال فترة زمنية طويلة، وأنه أيضًا أفضل المباني التي ظلت قائمة وفي حالة جيدة حتى قدوم البرتغاليين، الذين قارنوه بالمسجد الجامع في قرطبة كما ذكرنا سابقًا.

ويقع هذا المسجد حاليًا على حافة قرية حديثة، ويتكون من قسمين واضحين (شكل رقم ١) القسم الشمالي وهو الأقدم، ويسقفه سقف مسطح، وتقع ميضأته في الجانب الغربي منه، والجزء الجنوبي، أو التوسع الأكبر باتجاه الجنوب، وتسقفه القباب والقبوات وتقع ميضأته في طرفه الجنوبي (شكل رقم ٢).

القسم الشمالي:

يرجع هذا القسم وهو رواق الصلاة الأقدم في هذا المسجد إلى الفترة الثانية من التاريخ الإسلامي لهذه المنطقة، أي إلى عصر الأسرة الشيرازية

(47) Horton، East Africa، p. 205.

فـــي القـــرن الخـــامس الهجري، وقد بني هذا المسجد بالحجارة المرجانية، صـــفت فـــي مداميك غير منتظمة يبلغ سمكها من ٢٠ إلى ٢٥ سم[٤٨] مما اســـتدعى بعـــد ذلك زيادة سمك هذه الجدران ودعمها من الخارج بدعامات مدمجة لكي تتحمل السقف الجديد[٤٩]، وهو أسلوب معماري انتشر في إيران فـــي الفتـــرة نفسها[٥٠]، والواقع أن هذا المسجد أو الجزء القديم منه عبارة عـــن ســـاحة صـــلاة بسيطة مستطيلة الشكل، بها ثلاثة صفوف من الأعمدة الخشبية تحمل عقودًا متقاطعة يقوم عليها السقف الجديد.

وقـــد فـــتح في كل من الجدارين الشرقي والغربي ثلاثة مداخل معقودة، اســـتخدمها المعمـــاري إنـــشائيًا فـــي الربط بين الجدران الداخلية القديمة والجدران الخارجية المضافة؛ إذ أصبحت هذه المداخل تشكل ممرًا يربط بين هـــذه الجدران (شكل رقم ٢)، وربما كانت الأبواب القديمة معقودة أيضًا[٥١]، أمـــا المحـــراب فهـــو مجـــراب منخفض داخل إطار مستطيل، ويتوج حنية المحراب عقد نصف دائري زخرف تجويفه بتضليعات جصية، يكتنفه أعمدة جـــصية مدمجـــة، وهـــو بهذا الشكل يشبه العديد من المحاريب العمانية في زنجـــبار (لـــوحة١٢) كمـــا يشبه العديد من محاريب جنوب شرق الجزيرة العربية في الفترة من ٩- ١١ هـ (١٥- ١٧م) [٥٢].

وسقف هذا القسم من المسجد كان يقوم على تسعة أعمدة خشبية جعلت فـــي ثلاثـــة صـــفوف، كل صف منها يحتوي على ثلاثة أعمدة، وهي أعمدة خـــشبية مضلعة لكل منها ستة عشر ضلعًا، وتحمل روابط خشبية واستخدام الأعمـــدة الخـــشبية المزخـــرفة تأثيـــر هـــندي انتقل إلى العمارة الإسلامية

(48) Chittick، Kilwa، Vol. 1، p. 61.

(49) Horton، East Africa، p. 205.

(50) Behzadi، Abdolreza Salar، Arg- e-Bam، I.R. Iran، 1997، p. 35.

(51) Chittick، Kilwa، p. 163.

(52) Bandyo Padbay، Soumen، The Roots of Decorated Omani Mihrabs، Pdo News، Moscat، 2002، pp. 22 – 28.

المبكرة[٥٣] وانتشر استخدامها بعد ذلك في آسيا الوسطى وجنوب شرق الجزيرة العربية وشرق إفريقيا، بل واستخدمت مثل هذه الأعمدة الخشبية في العديد من مساجد صعيد مصر في العصر العثماني[٥٤].

أما الميضأة فهي عبارة عن حجرة مستطيلة تقع خارج المسجد من الجهة الجنوبية، وتحتوي المساحة المخصصة للوضوء على ثلاثة خزانات للميضأة وبئر (الشكل رقم ١).

القسم الجنوبي من المسجد:

تختلف عمارة هذا القسم تمامًا عن عمارة المسجد القديم (القسم الشمالي) فهو مستطيل الشكل مسقف بالقباب والأقبية، تحملها دعامات ثمانية الأضلاع، ويرجح تشتك (Chittick) أن هذه الزيادة ترجع إلى حوالي ١٣٠٠م، وتبلغ مساحتها ضعف مساحة المسجد القديم، وهي عبارة عن خمس بائكات من الأعمدة المذكورة، تشكل ست بلاطات من الشمال إلى الجنوب، وخمس بلاطات من الشرق إلى الغرب، وقد سقفت البلاطة الخارجية في هذا القسم من المسجد بالقباب، بينما سقفت البلاطة الثانية والرابعة من الشمال إلى الجنوب بأقبية برميلية (شكل ١)، وهي قباب مبنية ومجصصة وخالية من الزخارف باستثناء القبتين الثانية والرابعة في الجانب الشرقي مما يلي المدخل فهما مضلعتان[٥٥].

وقد بنيت جدران هذا القسم من المسجد بقطع الصخور والحجر غير المروم والجص[٥٦]، وهو أسلوب في البناء نجده في المناطق الساحلية في

---

(٥٣) مسجد السلطان محمود الغزنوي الذي بناه في غزنة (٤ هـ/١٠م) كان ذا سقف مرفوع على أعمدة خشبية استحضرت له من الهند، وكانت مليئة بالزخارف البراقة بالألوان كالأحمر والذهبي واللازوردي.

(٥٤) عثمان، محمد عبد الستار: أخميم في العصرين القبطي والإسلامي، الإسكندرية ١٩٨٢م، ص٧٦- ٧٧.

(٥٥) عن تاريخ استخدام الأقبية والقباب في العمارة الإسلامية، راجع:
Creswell (K.A.C.)., Early Islamic Architecture, Vol. 1, 1932, pp. 360- 362;
شافعي، فريد: العمارة العربية في مصر الإسلامية، القاهرة ١٩٧٠م، ص١٩٧- ١٩٩.

(56) Chittick, Kilwa, p. 64.

جنوب وجنوب شرق الجزيرة العربية والمناطق المطلة على المحيط الهندي[٥٧]، وفي ركن المسجد الجنوبي الشرقي قبة كبيرة في ركنها الجنوبي الشرقي صهريج مقبي، ويتقدم هذه القبة بهو مستطيل مغطى بقبو برميلي (شكل رقم i)، وفي الجدار الجنوبي ثلاثة أبواب الأوسط منها يؤدي إلى البلاطة الوسطى والمحراب.

وقد ورد في حوليات كلوة[٥٨] أن هذا المسجد انهدم في عهد السلطان الحسن بن سليمان حفيد الحسن بن طالوت المهدي، وهو البيت العربي الذي آل إليه ملك كلوة من البيت الشيرازي سنة ٦٧٦ هـ/١٢٢٧م، وأن هذا المسجد ظل متهدمًا فيما عدا القبة الكبيرة فقد كان يصلي فيها وظل المسجد متهدمًا والناس يصلون تحت ظلال الخصيف والخيام إلى زمن السلطان سليمان بن عبد الملك العادل الملقب "بالمطر الجديد"، والذي حكم في الفترة من (٨٢٤ - ٨٤٦ هـ/١٤٢١ - ١٤٤٢م) [٥٩].

ويفسر نيفل تشيتك Neville Chittick ذلك بأن هذا المسجد كان مسجدًا شيرازيًا أي مسجدًا للشيعة، ولما انهدم لم يتم إصلاحه على الفور، ويرجح أن تهدم هذا المسجد كان في عهد السلطان أبي المواهب، وأن الأمير سيدي حاج راشي ابن السلطان حسن طلب من السلطان سليمان الإذن بإعادة بنائه على نفقته الخاصة، غير أن السلطان رفض هذا الطلب، ودفع إليه المال المطلوب لإعادة بناء المسجد، إلا أن حاج راشي أعاد بناء المسجد على نفقته، واحتفظ بمال السلطان سليمان، وأعاده إلى ورثته بعد وفاته[٦٠]، ونظرًا لافتقاد البنائين الذين يستطيعون إعادة بناء الأعمدة كما كانت استخدمت جذوع الأشجار المحلية وفروعها في عمل الأعمدة والروابط الخشبية.

---

(٥٧) القلاع والحصون في عمان، سلطنة عمان، مكتب نائب رئيس الوزراء لشئون مجلس الوزراء، قسم الدراسات ١٤١٥ هـ/١٩٩٤م.

(٥٨) "السلوة في أخبار كلوة" لمؤلف مجهول ولد عام ٩٠٤ هـ، تحقيق: محمد علي الصليبي، مسقط ١٩٨٥م، ص١٠٩.

(٥٩) عبد الحليم، رجب: العروبة والإسلام، ص٣٢٧.

(60) Chittick, Kilwa, p. 86.

وربما كان بقاء هذا المسجد وهو المسجد الجامع في العاصمة متهدمًا لأكثر من قرن من الزمان يرجع لكونه مسجدًا شيرازيًا شيعيًا، وهو ما يذكرنا بما حدث للجامع الأزهر في العصر الأيوبي بعد زوال حكم الدولة الفاطمية الشيعية[٦١]، فقد كان بيت الحسن بن طالوت المهدي الذين ورثوا حكم كلوا من الشيرازيين كانوا عربًا سنة، وتذكر حوليات كلوة أن السلطان أبا المواهب الحسن بن سليمان المهدي الذي حكم سلطنة كلوة في الفترة من (٧١٠ هـ إلى ٧٣٤ هـ /١٣١٠- ١٣٣٣م) كان عربيًا سنيًا (وهو ثالث سلاطين هذا البيت العربي) أرسله والده لتلقي العلم في عدن ومكة المكرمة عندما كان عمره أربعة عشر عامًا[٦٢]، يؤيد ذلك ما ذكره ابن بطوطة من أن أهل كلوة شافعية المذهب، وأن سلطانها أبو المظفر حسن ويكنى أيضًا أبا المواهب لكثرة مواهبه ومكارمه، وأن الشرفاء يقصدونه من الحجاز والعراق وسواهما، كما حضر ابن بطوطة صلاة الجمعة مع هذا السلطان، وشاهده خارجًا من المسجد قاصدًا داره، ووصف موكبه بشيء من التفصيل[٦٣]، مما يشير إلى أن سلطنة كلوة في عهد هذه الأسرة لم تكن شيعية المذهب؛ فالشيعة الاثنى عشرية لا يؤدون صلاة الجمعة، لغياب الإمام الذي بوجوده تحل صلاة الجمعة باعتقادهم.

وبصفة عامة، يمكن القول بأن هذا المسجد أسس في عهد الأسرة الشيرازية الفارسية التي اختلفت الآراء في تاريخ قيامها، وإن كانت أرجح هذه الآراء أنها قامت في منتصف القرن الخامس الهجري/ السادس عشر الميلادي، وأن هذا المسجد تهدم ثم أعيد بناؤه، وأضيفت إليه منشآت جديدة في عهد الأسرة العربية المهدلية، في عهد السلطان سليمان المطعون المهدلي ثاني سلاطين هذه الأسرة[٦٤]، وذلك بناءً على التنقيبات التي تمت بإشراف المعهد البريطاني بشرق إفريقيا ما بين عامي ١٩٥٨ و ١٩٦٠م،

---

(٦١) عبد الوهاب، حسن: تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة ١٩٤٦م، ص٥٢- ٥٣.
(٦٢) عبد الحليم، رجب: العروبة والإسلام، ص٣٢٨.
(٦٣) رحلة ابن بطوطة، ص٢٥٨- ٢٥٩.
(٦٤) السلوة في أخبار كلوة، ص٣٦٣؛ ابن بطوطة، ص٢٦٦؛ رجب عبد الحليم: العروبة والإسلام، ص٣٤٧.

وأن الأرضية الحالية للمسجد ترجع إلى سنة ٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠م، وأن هذا المسجد تهدم بعد ذلك ثم أعيد بناؤه في عهد سليمان بن محمد (٨٢٤-٨٤٦ هـ/١٤٢١- ١٤٤٢م)، وفي هذه الفترة تم إضافة القسم الجنوبي، وهو القسم المسقف بالقباب والأقبية (شكل ١) [٦٥].

المسجد الصغير في كلوا كيسيولي:

مسجد صغير يرجع إلى ٨ هـ/ ١٤م[٦٦]، وينسبه البعض إلى ٩ هـ/ ١٥م[٦٧]، ويعتبر من أفضل المباني الإسلامية في كلوا التي حافظت على حالتها المعمارية، ويتوسط هذا المسجد أربع دعامات بنائية، تحمل عقود عمودية وموازية لجدار القبلة، وتقسم المسجد إلى ثلاث بلاطات الوسطى منها وهي العمودية على المحراب أعرض قليلاً من البائكتين الجانبيتين، ويسقف المربع الأوسط منها قبة بينما سقف كل من المربع الشمالي والمربع الجنوبي بأقبية برميلية (شكل ٣).

ويزخرف القبة الوسطى ثلاث صفوف من أطباق الخزف الإسلامي المزجج، ترجع إلى فترة إنشاء المسجد[٦٨]، كما زينت أقبية المربعين الشمالي والجنوبي بأطباق خزفية مماثلة ثبتت على الجانب السفلي منها في خمسة صفوف على كل قبو، واستخدام سلطانيات وأطباق من الخزف كعنصر زخرفي مضاف نجده في العديد من المحاريب العمانية التي ترجع إلى فترات زمنية مقاربة[٦٩].

ويكتنف القبة الوسطى المركزية من الجانبين الشرقي والغربي قبة مضلعة، بينما القباب الأربعة في الأركان خالية من التضلعات أو الزخرفة (شكل ٣)، وقد أنشئت هذه القباب بالمونة والجير بالصب في قالب، أما محراب هذا المسجد فما يزال في حالة جيدة له طاقية Hood تقوم على

---

(65) Chittick، Kilwa، pp. 27 – 35.
(66) Horton، East Africa، p. 206.
(67) Chittick، Kilwa، p. 161.
(68) Horton، Op. Cit.، p. 206.
(69) Bandy obadbyay، Op. Cit.، pp. 26 – 27.

أربعـــة أعمـــدة تحمـــل عقود مدببة متداخلة، زخرفت كوشاتها ببلاطات من الخزف ذي البريق المعدني، كما عثر على الكثير من قطع الخزف ذي البريق المعدني في الحفائر المجاورة لهذا المسجد(٧٠).

وهـــذه الترصيعات نجدها أيضًا بكسر من الشعب المرجانية مرصعة في تـــصاميم زخـــرفية دقيقة، وهي نماذج مبكرة تشكل سمة من سمات العمارة السواحلية، وتوجد نماذج لها في "كيزماكاري" و"تومباتو"، وهناك سمة غير معـــتادة وهـــي وضع عمود مربع على قمة القبة الوسطى، وربما كان ذلك تقلـــيدًا للمقابر السواحلية(٧١)، وبناءً على دراسة مقارنة للعناصر المعمارية لهـــذا المسجد نسبه "تشتك" إلى الفترة الزمنية نفسها التي أنشئ فيها القسم الجنوبـــي مـــن المسجد الكبير أي إلى الربع الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي(٧٢).

ويحـــيط بالمسجد زيادة من الجهات الشمالية والشرقية والجنوبية، وفي الـــركن الجنوبـــي الغربي توجد البئر وخزانات المياه والميضأة والمراحيض (شكل ٣)، ويبدو أن المياه كانت مرتفعة في آبار هذه المناطق، إذ يذكر ابن بطـــوطة أن عمق آبارهم ذراع أو ذراعان، وأنهم يستقون منها الماء بقدح من الخشب قد غرز فيه عود رقيق طويل الذراع(٧٣).

مسجد جانجواني Jangwani

يقـــع هذا المسجد في الشمال الشرقي من موقع كلو كيسيواني، ويشبه فـــي تصميمه العام المسجد السابق، ويرجح أنه يرجع إلى الفترة التاريخية نفـــسها، ويلاصقه من الجهة الشرقية "بيت جانجواني"، ويتكون المسجد من ثـــلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، والبلاطة الوسطى منها أوسع من البلاطتـــين الجانبيتـــين (شـــكل ٤)، ويتوســـط المسجد أربع دعامات مثمنة

---

(70) Chittick, Op. Cit., p. 57 – 59.
(71) Horton, Op. Cit., p. 206.
(72) Chittick, Op. Cit., p. 161.

(٧٣) ابن بطوطة: ص٢٥٧.

الأضـــلاع، تم تقوية الدعامتين الجانبيتين منها بإحاطتهما بغلاف من البناء في القرن الثامن عشر.

وتقـــسم هـــذه الأعمـــدة المسجد إلى ست مساحات مربعة كانت تسقفها القـــباب المـــتهدمة حالـــيًا[٧٤]، وبينما ما يزال الجانب الشرقي من المسجد، والمنـــشآت المجاورة في حالة معمارية جيدة، فقد تخرب الجانب الغربي من المسجد، وقد بني هذا المسجد على تلة مرتفعة.

ويبـــرز المحراب عن جدار القبة في كتلة مرتفعة، ويحيط بالمسجد من الجهات الشرقية والشمالية زيادة، وله مدخل في كل زيادة منها، ويصعد إلى المـــسجد مـــن خمـــس درجات تتوسط الزيادة الشرقية حيث تتوسطها البئر والميضأة والمنزل الكبير المجاور.

ويلاحـــظ على هذا المسجد تدعيم جدار القبلة إلى الشرق من المحراب بجدار مساند ملاصق له من جهة القبلة، ثم أضيف جدار آخر موازٍ له (شكل ٤)، ويـــدخل إلـــى المسجد من باب في الجدار الجنوبي أو من حجرة طويلة ضيقة تمتد بطول الجدار الشرقي.

وعلـــى يـــسار الدرج المؤدي إلى الزيادة أو الحجرة التي تتقدم الجدار الـــشرقي المذكـــور تـــوجد ساحة الوضوء مرصوفة بالحجر الرملي، وعلى جانبـــي الـــدرج جـــرار فخارية مثبتة في الأرض بالبناء بواقع اثنتين على اليـــسار وواحـــدة علـــى اليمين، ويطلق عليها باللغة السواحلية "ميتونجي" Mitungi، وقـــد أعدت هذه الجرار لغسيل الأقدام قبل الدخول إلى المسجد، وكانـــت تمـــلأ مـــن البئر خارج ساحة الوضوء (شكل ٤)، وهي من الأمثلة القليلة الباقية، ويتساءل تشيتك عن السبب لعمل مثل هذه التجهيزات لغسيل الأقـــدام[٧٥]، غير أننا نرجح أن كثيرًا من أبناء هذه المناطق في ذلك الوقت كانـــوا لا ينـــتعلون ممـــا استدعى مثل هذا الإجراء، يؤكد ذلك ما ذكره ابن بطوطة عن مسجد جزيرة "ممباسا" أن الأرض حول البئر والمسجد مسطحة، فمن أراد دخول المسجد غسل رجليه ودخل، ويكون على باب المسجد قطعة

---

(74) Chittick، Op. Cit.، p. 167.

(75) Chittick، Op. Cit.، p. 168.

حصير غليظ يمسح بها رجليه، ومن أراد الوضوء أمسك القدح بين فخذيه، وصب على يديه وتوضأ، وجميع الناس يمشون حفاة الأقدام[٧٦].

والبئر الموجودة في ساحة هذا المسجد دائرية قطرها حوالي ١,٥٨ متر، على عكس بقية آبار "كلوا" التي غالبًا ما تكون مربعة[٧٧]، ويرفع الماء من البئر إلى حوض على تلة مرتفعة بمقدار ٩٠ سم، يجري منها الماء في قناة إلى الميضاة، وهو ما نجده في المساجد العمانية، حيث يرفع الماء من الفلج أو البئر إلى منصة مرتفعة مجاورة للبئر، ومنها إلى قناة الوضوء (شكل ٥) [٧٨]، والساحة التي تحتوي على منطقة الوضوء بركنها الجنوبي حوض على مصطبة مرتفعة يصعد إليها بدرج من ثلاث درجات، وعلى المنطقة بقايا درج كان يؤدي إلى سطح المسجد حيث يصعد المؤذن للإعلان عن الصلاة، ومن ثم فهي تؤدي وظيفة المئذنة، وهي أيضًا سمة معمارية من سمات المساجد الأباضية في عمان (لوحة ١)، وإلى الجنوب منها وملاصقة لها منصة أخرى، حيث يرتد الجدار إلى الجنوب (D)، وهي منصة مبنية بقطع مربعة من الأحجار ولها باب يؤدي إليها، ويذكر "تشتيك" أنه يطلق عليها "برزة" وأنها لها باب ومن المفروض أن تكون مسقفة وإن كان يعوزه الدليل الأثري على ذلك[٧٩]، ونضيف أن البرزة مصطلح معروف في عمارة جنوب وجنوب شرق الجزيرة العربية حيث توجد "برزة شتوية" و"برزة صيفية" وما زال هذا المصطلح مستخدمًا حتى الآن ويطلق على المجلس أو قاعة الاستقبال[٨٠].

وبالإضافة إلى المساجد السابقة فقد كانت هناك مساجد صغيرة في "ماليندي" و"كيباكوني" و"مونجي" تخرب معظمها ودرس بقاياها Chittick و Garlake و Green Ville، وقد كانت كلها مساحات بسيطة، فمسجد

---

(٧٦) ابن بطوطة: ص٢٥٧.

(77) Chittick، Op. Cit.، p. 163.

(78) Costa، Paolo M.، Historic Mosques and Shrines of Oman، BAR، Internaational Series 938، 2001، p. 142.

(79) Chittick، Op. Cit.، p. 169.

(٨٠) القلاع والحصون في عمان، ص١٥٦.

ماليزي الذي يرجع إلى ٩ هـ/١٥م مجرد حجرة مستطيلة بها ثلاثة أبواب في أضلاعها الشرقية والغربية والجنوبية(٨١).

والواقع أن سلطنة كلوا التي عرفت باسم "دولة الزنج" ازدهرت ازدهارًا كبيرًا منذ القرنين ٧، ٨ هـ/١٣، ١٤م حين استطاع داود بن سليمان سلطان كلـوة (١١٣٠- ١١٧٠م) أن يحل محل مقديشو في تجارة الذهب وبالتالي صـارت الزعامة السياسية والاقتصادية لكلوا وعاشت كلوا أزهى عصورها، وانعكس ذلك على عمارتها وتحولوا من البناء بالمواد التقليدية التراثية من خـشب البامـبو والطين إلى بناء البيوت بالخشب فكانوا يقطعونه إلى ألواح عريـضة للجدران والأبواب، وبدأ عرب كلوة في استخدام الأحجار المشذبة وغيـر المـشذبة في بناء بيوتهم، ودخلت أساليب جديدة في العمارة لم تكن مألوفة من قبل مثل القباب والقبوات والعقود، فقد كانت عمارتها من الخشب عـندما زارهـا ابن بطوطة سنة ١٣٣٢م، وذكر أن "مدينة كلوا من أحسن المـدن وأتقنها عمارة وكلها بالخشب، وسقف بيوتها الديس، وهو نوع من القصب"(٨٢).

وبـصفة عامة أصبحت كلوا سوقا تجاريًا كبير لمنتجات الصين والهند منذ القرن الثالث عشر وكان تجار تلك الجهات يجلبون إليها الخزف الصيني والحريـر، وكمـيات ضخمة من التوابل، ولجأ سلاطين كلوا إلى سك النقود خاصة النحاس، في كميات ضخمة لتكون أساسًا للتعامل بدلاً من الودع الذي كان يستخدم من قبل بمثابة عملة لتبادل السلع(٨٣)، وقد عثرت حفائر المعهد البريطانـي علـى العديـد من العملات والقطع الخزفية المستوردة المزججة والغير مزججة التي تؤكد هذه الصلات التجارية(٨٤).

---

(81) Chittick، Op. Cit.، p. 171.

(٨٢) ابن بطوطة: ص٢٥٨.

(٨٣) الحويري: ساحل شرق إفريقيا، ص١٢١.

(84) Chittick، Op. Cit.، Vol. II، pp. 269 – 302.

مساجد مقديشيو:

مقديشيو عاصمة الصومال الحديث، وميناؤها الرئيسي على ساحل المحيط الهندي، وظلت فترة طويلة واحدًا من أهم موانئ شرق إفريقيا، بل كانت الميناء الآمن والأول جنوب رأس خافون Hafun، وأول ذكر لهذه المدينة نجده عند ياقوت الحموي سنة ٦٠٨ هـ/١٢١٠م، الذي ذكر عنها في معجم البلدان "مقديشيو أول مدينة في بلاد الزنج في جنوب اليمن على ساحل البحر، وأهلها كلهم غرباء ليسو بسودان، ولا ملك لهم إنما يدبر أمورهم المتقدمون على اصطلاح لهم"(٨٥)، وقد كانت مقديشيو مهجرًا للعرب منذ أقدم العصور، حيث وجدوا في سواحل إريتريا والصومال لقربها من بلادهم فهاجرت إليها جماعات عربية كثيرة استوطنت الساحل، ولم تتوغل في الداخل حيث السكان الأصليين، ومن ثم ظهرت التأثيرات العربية بشكل واضح وكبير على عمارة المناطق الساحلية.

ثم زارها ابن بطوطة سنة ٧٢٩ هـ/١٣٢٩م ووصفها بأنها "مدينة متناهية الكبر وأهلها لهم جمال كثيرة ينحرون منها المئين في كل يوم، ولهم أغنام كثيرة، وأهلها تجار أقوياء، وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها التي لا نظير لها، ومنها تحمل إلى ديار مصر وغيرها"(٨٦).

وفي ذلك الوقت كانت مقديشيو قد أصبحت من أكثر مناطق شرق إفريقيا ازدهارًا، كما تشير إلى ذلك الأدلة الأثرية العديدة، فقد عثر على عدد كبير من النقوش في جبانات شانجاني Shangani وحمروين Hamar Weyne وهي أدلة ترجع إلى الفترة من (٦١٤ إلى ٧٦٥ هـ/ ١٢١٧-١٣٦٣م)(٨٧)، ومن بين ثمانية وعشرين مسجدًا أثريًا كانت بهذه المنطقة لم يتبق سوى ثلاثة مساجد فقط بها أجزاء أثرية، ومنها الجزء القديم المتبقي من الجامع الكبير "جاميا" Jamia في حي حمروين(٨٨).

---

(٨٥) الحموي: شهاب الدين ياقوت أبي عبد الله، معجم البلدان، دار صادر بيروت، ص١٩٧٩، جـ٣، ص١٧٣.

(٨٦) ابن بطوطة: ص٢٥٣.

(87) Horton، Op. Cit.، p. 200.

(٨٨) عبد الحليم، رجب: العروبة والإسلام، ص٢٦٥.

جامع حمرويني:

عبارة عن قاعة صلاة مستطيلة الشكل يتوسطها صف من الأعمدة، مع حجرة في الجانب الغربي من المسجد، وربما كان ذلك إعادة بناء لرواق الصلاة القديم الذي يرجع إلى القرن ١٣م[٨٩]، وإن كان وصف ابن بطوطة يشير إلى أن هذا المسجد كان من طراز المساجد الجامعة ذات الصحن المكشوف والأروقة، وبه مقصورة مخصصة لصلاة السلطان، فقد أورد في معرض حديثة عن هذا المسجد "وأتينا الجامع فصلينا خلف المقصورة، فلما خرج الشيخ[٩٠] (السلطان) من باب المقصورة سلمت عليه مع القاضي، فرحب وتكلم بلسانهم مع القاضي، ثم قال بلسان العربي: قدمت خير مقدم، وشرفت بلادنا وآنستنا، وخرج إلى صحن المسجد فوقف على قبر والده، وهو مدفون هناك فقرأ ودعا"[٩١]، مما يشير إلى وجود ضريح في صحن المسجد. وهي ظاهرة نجدها في الكثير من المدارس اليمنية التي يوجد بها قبر المنشئ، أو التي ربما كان الهدف الأول من إنشائها أن تشتمل على مقبرة تضم رفات السلطان أو أحد أقاربه الأعزاء، نذكر منها المدرسة السيفية بتعز، التي أنشأها السلطان المعز إسماعيل بن طغتكين بن أيوب لينقل إليها رفات والده، الذي كان قد تُوُفِّيَ بمنصورة جنوة، والمدرسة الأتابكية جنوب غرب مدينة تعز، ودفن بها السلطان المنصور نور الدين عمر بن رسول، وكذلك المدرسة الأشرفية في تعز، والتي أنشأها الأشرف إسماعيل بن الملك الأفضل بن الملك المجاهد الرسول سنة ٨٠٠ هـ، وتتوسط الضريحة صحن المدرسة[٩٢].

---

(89) Horton, Op. Cit., p. 205.

(٩٠) لقب "الشيخ" كان يطلق على سلطان مقديشو، وما زال هذا اللقب (الشيخ) يطلق على المنحدرين من الأسرة الحاكمة في كل من أريتريا والصومال، وقد أشار ابن بطوطة إلى هذا اللقب حين ذكر أن السلطان يلقب بالشيخ، وذلك حينما طلب منه أن يتوجه للسلام ويضيف ابن بطوطة "وعادتهم أن يقولوا لسلطان الشيخ. فقلت له إذا نزلت توجهت إليه، فقال لي: إن العادة إذا جاء الفقيه أو الشريف، أو الرجل الصالح لا ينزل حتى يرى السلطان، فذهبت معهم إليه كما طلبوا"؛ ابن بطوطة: الرحلة، ص٢٥٣.

(٩١) ابن بطوطة: الرحلة، ص٢٥٥.

(٩٢) عبد النصر، محمد: المدارس اليمنية، الإكليل، السنة الثالثة، العدد الأول، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ص ٩٨- ١٤٢.

أما المسجد الحالي فهو نتاج لإعادة البناء سنة ١٩٣٠م، ولم يتبق من آثاره القديمة سوى المدخل ذي العقد المفصص والمئذنة الأسطوانية المبنية بالأحجار المرجانية، وتعتبر هذه المئذنة أقدم آثار مقديشو، إذ ترجع إلى تاريخ بناء المسجد القديم في أول محرم سنة ٦٣٦ هـ/١٢٣٨م، كما يشير إلى ذلك نص تأسيس كان مثبتًا على أحد أبواب المسجد القديم(٩٣)، ويحتوي هذا المسجد على دعامات جانبية للجدران Side Pilasters ، أما محراب هذا المسجد فهو محراب ذو زخارف جصية مثبت بها أطباق من البورسلين على غرار المحاريب العمانية(٩٤)، ويتوج حنية هذا المحراب عقد متعدد الفصوص ذات الأشكال النباتية، ويرجع هذا المحراب تقريبًا إلى القرن الثامن عشر وعليه كتابات كوفية، ربما تكون معاصرة للمئذنة وأعيد استخدامها في هذا المحراب(٩٥).

جامع فخر الدين:

يعتبر جامع فخر الدين هو المسجد السواحلي الوحيد الذي يرجع إلى العصور الوسطى الذي بقي بدون تغييرات، وما يزال مستخدمًا حتى الآن.

وينسب بناء هذا الجامع إلى أول سلاطين مقديشو أبو بكر فخر الدين(٩٦)، وعليه نص تأسيس بالحفر البارز على الرخام يرجع إلى سنة ٦٦٧هـ/١٢٦٩م، وهو مثال فريد في تخطيطه على الساحل الشرقي لإفريقيا، إذ يختلف تخطيطه عن بقية المساجد السواحلية، ومسقط هذا المسجد مستطيل الشكل بداخله ساحة صلاة مربعة تتوسطها قبة مركزية(شكل ١)، وهذه القبة تتوسط سقف مسطح محمول على روافد خشب، وهي قبة قمعية الشكل Sugar Loaf Type، بالإضافة إلى قبة أخرى تغطي الردهة أو السقيفة التي تتقدم المسجد، أما قبة الردهة أو السقيفة فهي قبة مخروطية الشكل ذات ثمانية جوانب تشبه خيام الباراسول Parasol Tents (خيام

(٩٣) الحويري: ساحل شرق إفريقيا، ص١٠١.

(94) Paolo Costa، Historic Mosques، p. 223.

(95) Horton، Op. Cit.، p. 205.

(٩٦) الحويري: ساحل شرق إفريقيا، ص١٠١.

مضلعة تشبه مظلات النساء)، أما القبة القمعية التي تتوسط قاعة الصلاة المكونة من ثلاث بلاطات فهي تشبه قباب المقابر السودانية في ذلك الوقت، وهذا الطراز من القباب القمعية الشكل أسلوب محلي انتشر في العديد من مساجد شرق إفريقيا ومنها مسجد شيلا بجزيرة لامو (لوحة ٢) في كينيا.

وتخطيط هذا المسجد يتكون من مستطيل ينقسم إلى قسمين، قسمه الجنوبي صحن مكشوف تشغل ضلعه الجنوبي، المقابل لجدار القبلة حجرات تطل على الصحن المكشوف، وفي ثلثه الشمالي بائكة غير مسقفة تتوسطها القبة المضلعة المؤدية إلى رواق الصلاة المكون من ثلاث بلاطات، وتتوسطه القبة المخروطية المذكورة، في شكل يتناقض مع القبة المضلعة المقابلة لها، والتي تغطي السقيفة (شكل ٦) مجسدة الجمع بين العناصر المعمارية المحلية والوافدة في آن واحد، ويبرز المحراب في كتلة مستطيلة عن جدار القبلة.

وقد كانت الروافد الخشبية Rafters تعد في شكل ثماني، ويبرز جزء منها خارج السقف المسطح، وهي تقاليد معمارية محلية تظهر بشكل أكبر في مساجد غرب إفريقيا التي لم يقع على عمارتها تأثير خارجي كبير مثل مساجد شرق إفريقيا (انظر: لوحة ٣ لمسجد جينية الكبير في مالي)، والأبواب الخارجية لهذا المسجد أربعة أبواب، اثنان في الضلع الشمالي وهو جدار القبلة، والثالث في الطرف الشمالي من الضلع الشرقي للمسجد، أما الباب الرابع فيتوسط الضلع الجنوبي للمسجد ويؤدي إلى الصحن المكشوف، وتؤدي الأبواب الموجودة في جدار القبلة إلى حجرتين مستطيلتين تكتنفان برواق الصلاة من الجهتين الشرقية والغربية، وتفتحان على الصحن المكشوف وعلى رواق الصلاة في الوقت نفسه (شكل ٦).

والأبواب الخارجية في إطار من دخلات متعددة تنتهي على شكل حلية معمارية محدبة، أما المدخل الرئيسي في الضلع الجنوبي فهو مغشى بالرخام المزخرف بالأشكال النباتية والكتابية، ويعد واحدًا من أفضل المداخل الباقية على الساحل كله، إذ تغطيه بالكامل ألواح رخامية مستوردة مزخرفة بأشكال نباتية منفذة بالحفر البارز، والسمات الزخرفية للأبواب وثيقة الصلة بمسجد "حسوني كبوا" في كلوا.

والمحـــراب رغم إعادة بناؤه في القرن ١٨م على شكل حنية مستطيلة وعقـــد إهليلجي Elliptical ما يزال يحتوي على اللوحة الرخامية الأصلية بـــزخارفها المشابهة لإفريز من كلوا، وهي بلاطة عليها اسم المنشئ وتاريخ الإنشاء[٩٧].

لامـو:

تقع لامو الآن في كينيا، وهي مدينة تمثل أيضًا العمارة السواحلية على شـــواطئ شرق إفريقيا[٩٨]، وقد تعرضت هذه المنطقة لهجرات عربية مبكرة مـــنذ بداية العصر الإسلامي حين استقبلت جماعات من أهل الشام فرارًا من سياســـة الحجاج بن يوسف الثقفي، وهي الفترة نفسها التي هاجر فيها من عمـــان سليمان وسعيد ابنا عباد الجلندي فرارًا من جيوش الحجاج وفي ذلك يذكر السالمي أنهما حملاً ذراريهما وسوادهما ومن خرج معهما من قومهما ولحقا ببلد من بلاد الزنج"[٩٩].

ويمـــيل هورتـــون (Horton) إلـــى الاعـــتقاد بـــأن الأجزاء الشمالية والجنوبـــية مـــن المدينـــة كانـــت ممتلئة بالسكان في القرن الرابع الهجري (العاشـــر الميلادي)، وهناك وصف للمدينة يرجع إلى سنة ١٤٤١م سجل أن أجزاء من هذه المدينة كانت تغطيه الرمال حتى ذلك التاريخ[١٠٠].

ويرجع معظم أجزاء المدينة الحالية إلى القرن الثامن عشر، وبها أربعة وعـــشرين مـــسجدًا أثريًا ما تزال قيدًا الاستعمال، والكثير منها يحتوي على

---

(97) Horton، Op. Cit.، p. 205.

(98) Allen، James Vere and Wilson، Thomas H.، "Sawahili Houses and Tombs of The Coast of Kenya" in Art and Archaeology، Research Papers، 12، 1979.

(٩٩) الـــسالمي: أبـــي محمد عبد الله بن حميد، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، مكتـــبة إشـــاعت الإســـلام، دهلي، الهند (د.ت)، جـــ١، ص٥٣؛ الحويري: المرجع السابق، ص١٠٥.

(100) Horton، Op. Cit.، p. 205.

كتابات، وهي ليست نصوص تأسيس بل كتابات إضافات أو تجديد على غرار ما نجده في المساجد العمانية(١٠١).

وأقدم مساجد لامو هو مسجد "وابواني) Wapwani ويرجع إلى سنة ٧٧٢ هـ/١٣٧٠م، وأعيد بناؤه في القرن ١٨م، أو بداية القرن ١٩م، وهي الفترة التي ترجع غليها معظم مساجد لامو، وعليها كتابات بتواريخ ما بين ١٧٣٣م، ١٨٨٠م، وفي بداية القرن العشرين تعرضت لامو لحركة إصلاح ديني قادها الأشراف الكوموريين انتهت ببناء العديد من المساجد من طراز معماري غير تقليدي، كما أدخلت تعديلات كثيرة على المساجد القائمة، أما المساجد التي أنشاوها فقد أخذت من العديد من الطرز الإسلامية، وهي ما يمكن أن نطلق عليه طراز إسلامي شامل Pan Islamic Style (١٠٢).

المسجد الجامع لامو:

يرجع هذا المسجد إلى سنة (٩١٧- ٩١٨ هـ/١٥١١- ١٥١٢م)، وهو عبارة عن قاعة صلاة بها خمسة صفوف من الدعامات المثمنة المشطوفة وسقف بسقف مسطح تتوسطه شخشيخة، وبه ساحة مخصصة للوضوء، شأنه في ذلك شأن كل المساجد السواحلية، وللأسف فقد أعيد بناء هذا المسجد كلية في القرن التاسع عشر، ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف يتوجه عقد ثلاثي الفصوص يقوم على دعامتين جانبيتين وبجواره المنبر الخشبي(١٠٣).

جامع "نعنالالو" Nnalalo

ومن مساجد لامو الأثرية جامع "نعنالالو" وهو من نماذج المساجد الصغيرة، ورواق الصلاة به أربعة صفوف من الأعمدة ذات الحواف المشطوفة، وهي توسعة للأصل الذي كان يحتوي فقط على ثلاثة صفوف

(١٠١) بلد يسيرا، إيروس، الكتابات في المساجد العمانية القديمة، مسقط ١٩٩٤م، إشارات عديدة.

(102) Horton، Op. Cit.، p. 207.

(103) Horton، Op. Cit.، p. 206.

مـــن الأعمدة[١٠٤]، وهذا المسجد شأن بقية مساجد لامو له ساحة وضوء في الجهـــة الجنوبـــية، ووجـــود ساحة الوضوء تتقدم المسجد تأثير من مساجد شرق الجزيرة العربية (مساجد عمان) [١٠٥].

ومحـــراب المـــسجد يـــتوجه عقـــد ثلاثي الفصوص يقوم على دعامات جانبـــية، وتعلوه كتابات تسجل إضافة هذا المحراب في فترة لاحقة على بناء المـــسجد، وهـــو مـــا نجـــده في مساجد عمان التي تعلو محاريبها نصوص إهدائـــية تـــشمل أسماء من قاموا بإهداء المحراب، بل وصناع المحراب في كثيـــر مـــن الأحـــيان، بينما يفتقد المسجد نص تأسيس يسجل تاريخ إنشاء المسجد نفسه[١٠٦].

شيلا ومسجدها الجامع:

شيلا Shela مستوطنة كينية صغيرة تقع في جزيرة لامو، إلى الجنوب مـــن مديـــنة لامـــو نفسها، وبها مسجد جامع يرجع إلى بداية القرن التاسع عـــشر، ومـــا يزال هذا المسجد مقامة شعائره، وإن أعيد ترميمه حديثًا[١٠٧] (لوحة ٤)، وتحتوي قاعة الصلاة على أربع وعشرين دعامة، وهي دعامات حجـــرية مثمـــنة تنتهي بشكل مربع يحمل جسور خشبية يقوم عليها السقف المـــسطح الجامـــع، وتـــؤدي كـــل من بلاطاته الشرقية والغربية إلى ساحة الوضـــوء الجنوبـــية، وبها صهريج خارجي، كما تؤدي ساحة الوضوء إلى زيادة في الجهتين الشرقية والغربية يدخل منها إلى المسجد عن طريق عقود بعـــضها نصف دائري وبعضها الآخر مفصص متأثر بأشكال العقود الهندية (لوحة ٤).

---

(104) Horton، Op. Cit.، p. 206.

(١٠٥) النويـــصر، محمد بن عبدالله: خصائص التراث العمراني في المملكة العربية الـــسعودية، دارة الملـــك عبدالعزيز، الرياض، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م، ص ص ٥٢ - ٥٤؛

Paolo Costa، Historic Mosques، pp. 147- 149.

(١٠٦) بلد يسيرا، المرجع السابق، ص٨٤- ٨٨.

(107) Horton، Op. Cit.، p. 207.

وفي الركن الشمالي الغربي توجد مئذنة قمعية الشكل (لوحة ٢) داخلها درج حلزوني وتنتهي بقمة مخروطية يتوجها هلال، ويضئ المئذنة نوافذ من قياسات مختلفة، بعضها كبير، وبعضها الآخر صغير، ويعلو المحراب كتابات تذكاريـــة ترجع إلى سنة ١٨٢٩م، ويتوجه عقد ثلاثي الفصوص يقوم على دعامـــات جانبـــية، أما المنبر الخشبي فعليه كتابات أشار هورتون إلى أنها ترجع إلى سنة ١٨٢٠م(١٠٨).

وهكـــذا يجمـــع هـــذا المسجد بين التأثيرات الوافدة من شرق الجزيرة العـــربية مثل ساحة الوضوء التي تتقدم المسجد، والكتابات التسجيلية على المحـــراب، والتأثيـــرات الهندية ممثلة في المحراب والعقود المفصصة التي نجـــدها في المحراب وفي الجهة الشرقية من المسجد بالإضافة إلى الأساليب المحلية متمثلة في المئذنة القمعية ونوافذها المتعددة(١٠٩).

مسجد ريادا Riadah Mosque (١٩٠٢-١٩٠٣)

أمـــا مـــسجد ريـــادا فـــي جزيرة لامو بكينيا أيضًا فيكاد يكون تجسيدًا للتأثيـــرات الهـــندية (لوحة ٥) التي نقلها المستوطنون الهنود إلى الساحل الـــشرقي لإفريقيا وإلى ساحل جنوب شرق الجزيرة العربية في الوقت نفسه، حـــيث نجـــد العديـــد من المساجد في محافظة ظفار بعمان تعكس التأثيرات الهـــندية، مـــثل العقود المفصصة، والمآذن القصيرة المزدوجة التي تكتنف المدخل، والجواسق القصيرة التي تسقفها قبة كروية أو بصلية، وتزيد أركان المـــسجد أو واجهاته الخارجية. ومنها مسجد "الحداد القديم" بقرية الدهاريز (ظفـــار) الـــذي يتـــشابه مع مسجد "ريادا" في كثير من عناصره المعمارية (لـــوحة ٦)، وهـــو مـــسجد يـــرجع إلى سنة ١٢٢٨ هـ/١٨٠٦م(١١٠)، فكلتا

---

(108) Horton، Op. Cit.، p. 207. لم ينشر هورتون نص الكتابات التي أشار إلى وجودها على المنبر والمحراب

(109) Deasi، Zainddin، Mosques of India، Dehli، 1966، pp. 37-45; Horton، Op. Cit.، p. 207.

(١١٠) دليل المساجد الأثرية في سلطنة عمان، وزارة الأوقاف، مسقط ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ص٣٠٢.

المنطقتين تعرضت للتأثيرات الوافدة نفسها، بحكم عوامل التجارة ثم الهجرة والاستقرار.

زنجبار:

زنجبار كلمة مركبة من "زنج" بالعربية "وبار" بالفارسية وتعني ساحل، أي ساحل الزنج، وتكتب في اللغة السواحلية على ضروب شتى لنجويه، ليـنجويه، أنجوية، منجويه، بنجويه، وهي جزيرة تبعد عن الساحل الإفريقي بحوالي خمسة وعشرين ميلاً، وتقع جنوب جزيرة بمبا (الجزيرة الخضراء) بحوالي ٣٢- ٣٥ ميلاً، وشمال دار السلام بمسافة ٢٩ ميلاً[١١١].

وتتكون زنجبار الحالية من ثلاث جزر رئيسية هي زنجبار وبمبا ومافيا، وعدد آخر من الجزر الصغيرة وجميعها متشابهة في مظاهرها الطبيعية والبشرية[١١٢]، وقد دخل العرب والإسلام إلى هذه الجزر مبكرًا منذ سنة ٦٥ هـ/٦٨٤م، وأنشئت بها المباني الحجرية وسكت النقود النحاسية[١١٣].

وقد ورد وصف للجزيرة عام ٦٢٢ هـ/١٦٢٦م على يد أحد التجار الصينيين الذي وصل إلى هذه المنطقة في ذلك الوقت وقال أن سكانها من العرب وحكامها من العرب أيضًا[١١٤]، وقد كان للوجود العربي ممثلاً على وجه الخصوص في الدولة العمانية الإفريقية (١٦٥٠- ١٨٦٠) أثر كبير في نقل التأثيرات العربية إلى منطقة إفريقيا الشرقية، وهي مجموعة المدن والجزر الساحلية وأهمها زنجبار وكلوا وممباسا، ويطلق على هذا المجموع الساحلي الذي يبلغ طوله حوالي ١٥٠٠ كم تقريبًا اسم منطقة زنجبار[١١٥].

---

(١١١) عبد الحليم، رجب: العروبة والإسلام، ص٣٨٦، حاشية ٥٥.

(١١٢) أوليفر روتلاند وجون ليج: تاريخ إفريقيا، ترجمة: عقيلة محمد رمضان، مراجعة: أحمد صوار، القاهرة ١٩٦٤م، ص٤٠؛ الحويري: المرجع السابق، ص١١٤.

(١١٣) غنيمي، رأفت: دور عمان في بناء حضارة شرقي إفريقيا، حصاد ندوة الدراسات العمانية، مسقط ١٩٨٠، جـ٣، ص١٤٨- ١٥٠.

(١١٤) عبدالحليم، رجب: العمانيون والملاحة والتجارة، ص٢٤٣- ٢٤٤.

(١١٥) غباشي: حسين عبيد غانم، عمان الديمقراطية الإسلامية (١٥٠٠- ١٩٧٠)، دار الجديد بيروت ١٩٩٧م، ص١٨٨.

وتوصل العمانيون إلى إقامة إمارات عربية عدة في هذه المنطقة، فقد أنشأت قبيلة الحرث مدينة "مفديشو" وبرافا" حوالي سنة ٩٢٤م، وتمتع مجموع هذه الإمارات بعيدًا عن خصومات الدولة العربية الإسلامية وصراعاتها الداخلية باستقرار سياسي واقتصادي مزدهر استمر لأكثر من سبعة قرون حتى السيطرة البرتغالية سنة ١٥٠٣م، واعتراف سكان زنجبار بسلطة البرتغال على الجزيرة، وموافقتهم على دفع الجزية السنوية، واستطاع الغزاة البرتغاليون احتلال المدن الساحلية وتدمير تجارتها، ودخلت المنطقة في حالة من التخلف لم تتخلص منها إلا في القرن السابع عشر حين استطاع الإمام العماني سلطان بن سيف الأول (١٦٤٤- ١٦٨٨م) بطلب من التجمعات العمانية والإفريقية طرد البرتغاليين وتعيين ولاة من الشخصيات العمانية عهد إليهم إدارة جزر زنجبار وبامبا وممباسا، واهتمت الدولة اليعربية بتوطيد الصلات التجارية والثقافية مع جناحها الإفريقي(١١٦).

وفي عصر أسرة البوسعيد (الأسرة الحاكمة في عمان حتى الوقت الحاضر) استطاع سعيد بن سلطان (١٨٠٧-١٨٥٦م) تعزيز قبضته على ساحل شرق إفريقيا واتخذ من زنجبار عاصمة ثانية لملكه، وقد توفي هذا السلطان سنة ١٨٥٦م، ودفن في حديقة قصره بزنجبار(١١٧)، ونتيجة لهذا الوجود العربي على أرض زنجبار أصبح سكانها لا يختلفون كثيرًا في حياتهم عن حياة عرب جنوب شبه الجزيرة العربية، وانتشر بناء المساجد والكتاتيب، حتى ذهب البعض إلى القول بأن كل مجموعة سكنية مكونة من ستة منازل كان لها مسجد يؤدي فيه الناس الصلاة، حيث اعتاد الناس ألا يصلون في العراء، فكان الواحد منهم لا يصلي دون سقف يرتفع فوق رأسه، أي أن الصلاة لا تتم إلا داخل مسجد(١١٨)، حتى بلغ عدد المساجد في

---

(١١٦) غباشي: المرجع السابق، ص١٩٠.

(١١٧) انظر عن عمان وشرق إفريقيا: رودلف سعيد روث، السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦م) سيرته ودوره في تاريخ عمان وزنجبار، الدار العربية للموسوعات، بيروت ١٩٨٨م، ص٨٩- ١٢٧؛ غباشي: المرجع السابق، ص١٩١؛ الحويري: المرجع السابق، ص١١٤- ١١٥؛ مال الله علي بن حبيب: ملامح من تاريخ عمان، ترجمة: محمد محمد كامل، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة (د.ت)، ص٢٥- ٢٦.

(١١٨) عبدالحليم، رجب: العروبة والإسلام، ص٣٩٥.

مدينة زنجبار وحدها في عصر سعيد بن سلطان في منتصف القرن التاسع عشر خمسين مسجدًا أوقفت عليها العديد من الأوقاف لإدارتها وإقامة شعائرها.

ويذكر رودلف روث أن الساحل الشرقي لإفريقيا خير ممثل لبقعة واسعة من الأرض تضم أنواعًا لا حصر لها من الشعوب والأجناس المتباينة، بل والمشردة أيضًا في بعض الأحيان، وأنه منذ نهاية القرن السابع للميلاد كان العرب وخاصة أهل عمان هم غالبية المهاجرين إلى هذه المناطق(١١٩).

وقد تميزت العلاقة بين مختلف الطوائف المسلمة في زنجبار بالتسامح والسلام والتعاون حتى أن كثيرًا من طلاب العلم والدراسات الدينية الأباضية تلقوا دروسهم على أيدي علماء من السنة، وكذلك طلاب من الشيعة الإسماعيلية والشيعة الإثنا عشرية، وقد ساعد على تدعيم هذا المناخ وانتشار روح التسامح منهج الدولة السياسي المبني على التسامح الديني، وعدم تدخل الدولة في شئون الدين(١٢٠).

ونتيجة لهذا التسامح وعلى الرغم من أن الطبقة الحاكمة وكبار التجار والأثرياء في زنجبار كانوا من أتباع المذهب الإباضي(١٢١)، ونتيجة لهذه الروح السمحة، وعدم التفرقة بين أبناء البلد الواحد من عرب وغير عرب، وجد بالإضافة إلى المساجد الإباضية العديد من المساجد للسنة العرب

---

(١١٩) رودلف روث: سعيد بن سلطان، ص٨٩.

(١٢٠) عبدالله، حسن محمد: الحركة المعمارية في زنجبار (١٨٣٢- ١٨٨٨م)، أبو ظبي، المجتمع الثقافي ٢٠٠١م، ص٨٣.

(١٢١) الإباضية: ظهرت الإباضية كفرقة إسلامية مميزة بأصولها وأتباعها في الثلثين الأخيرين من القرن الأول الهجري نتيجة لظروف سياسية واجتماعية أدت إلى اختلاف أمة محمد (ﷺ) حول بعض القضايا في الفقه والسياسة، ويرى البعض أن الأصول السياسية للإباضيين ظهرت في اجتماع السقيفة حين قالوا بجواز الإمامة في غير قريش، وهي أول مسألة يختلف عليها المسلمون بعد وفاة الرسول (ﷺ)، ويذكر المستشرق تادوز لويسكي في دائرة المعارف الإسلامية أن ظهور الإباضية كان سنة ٦٥ هـ/٦٨٤م عندما انفصل عبد الله بن إباض عن المتطرفين الخوارج بمناسبة الموقف الذي يجب اتخاذه تجاه أهل التوحيد الآخرين، وإن كانت جذور الإباضية أقدم من ذلك، وهي تسمية أطلقها الأمويون على أصحاب عبد الله بن إباض نسبة إلى أبيه أباض بن تميم، وينتشر أتباع هذا المذهب في عمان وساحل شرق إفريقيا والمغرب العربي، راجع؛ عدون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية، الضامري للنشر، مسقط ١٩٩١م، ص٢٧- ٤٨؛ أبي ربيع سليمان الباروني: مختصر تاريخ الأباضية، الضامري للنشر، مسقط ١٩٩٥م.

والسنة من الهنود والأفغان، ومساجد الطوائف الشيعية المختلفة، وفي دراسة للحركة المعمارية في زنجبار(١٢٢)، أحصت هذه الدراسة في مدينة زنجبار وحدها واحدًا وخمسين مسجدًا، نجد من بينها ثلاثين مسجدًا للسنة منها عشرة مساجد للسنة أنشئت بمعرفة الأباضيين، وأربعة عشر مسجدًا إباضيًا، وسبعة مساجد للشيعة من إسماعيلية وبهرة وإثنا عشرية، ونقتصر هنا على دراسة التأثيرات العربية والآسيوية التي وقعت على مساجد زنجبار.

مسجد كيزيمكازي Kizimakazi

أقدم مساجد زنجبار التي وردت إشارات عنها المسجد الجامع في كيزيمكازي Kizimakazi جنوب زنجبار، وصف بأنه مسجد قديم من أعجب المباني في شرق إفريقيا، وفوق محرابه نقش بالخط الكوفي نصه "بأمر الشيخ السيد بن عمران مقوم الحسن بن محمد أطال الله حياته المديدة، اللهم أقضي على أعدائه، تم بناء هذا المسجد في يوم الأحد من شهر ذي القعدة سنة خمسمائة من الهجرة(١٢٣)، وللأسف فقد اندثر هذا المسجد، ويرجح أنه يرجع إلى فترة السيطرة الشيرازية، حين أستطاع علي بن حسن الشيرازي أو والده حسن بن علي حاكم شيراز النزول في جزيرة كلوا، واشتراها من ملكها، أو من أهلها المقيمين بها، وأسس في زمن قصير مدينة عظيمة حصينة اتخذها عاصمة له وسميت باسم كلوة، وامتد نفوذها من ممباسا شمالاً إلى سفالة جنوبًا، ويقع تاريخ بناء هذا المسجد المندثر في فترة حكم السلطان حسن بن داود (٥٠٠- ٥٢٤ هـ/١١٠٦- ١١٢٩) (١٢٤).

ولما كانت معظم المساجد الباقية ترجع إلى فترة السيطرة العمانية فقد تأثرت جميعها سواء كانت مساجد شيعية أو سنية أو إباضية، تأثرت بعمارة

---

(١٢٢) عبدالله، حسن محمد: الحركة المعمارية في زنجبار، ص٢٩٣- ٢٩٧.

(123) Oliver (R.) & Mathew (G.), History of East Africa, London 1988, Vol. 1, p. 107.

(١٢٤) عبدالحليم، رجب: العروبة والإسلام، ص٣٠٢- ٣١٥.

المساجد العمانية التي تميزت بالبساطة التي تعكس المبادئ الدينية المتقشفة التي يؤمن بها السكان الذين بنيت المساجد على أيديهم أو من أجلهم(١٢٥).

ولما كانت الإباضية ترى أن الإمامة فرض واجب لأنها ضرورة من أجل تطبيق الأحكام الإلهية ونشر العدالة بين الرعية(١٢٦)، وبما أن حكام الأسرة البوسعيدية في عمان وزنجبار لم يكلفوا بالإمامة أو ينتخبوا لها وفقًا لأحكام المذهب الإباضي فإن ذلك يعني غياب الإمامة، وقد انعكس ذلك على عمارة المساجد في زنجبار، فلم يكن بين مساجد الإباضية في زنجبار مسجد جامع مما ترتب عليه غياب المنبر كعنصر أساسي من عناصر المسجد، ولكن بعد فترة وجيزة، وفي عهد السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦م) قدمت فتوى من عمان جواز إقامة صلاة الجمعة، فتم وضع المنبر في المساجد الجامعة ووضع في تجويف جدار القبلة خلف باب فتح على يمين المحراب(١٢٧).

مسجد المنارة:

يعتبر هذا المسجد أقدم المساجد الباقية في مدينة زنجبار (لوحة ٧) ويقع شرقي المدينة في حي يعرف باسم ماليندي الشرقية، ويرجع إلى ما قبل ١٧٠٠م، وأعيد بناؤه سنة ١٨٣٤م حسبما ذكر نص تأسيس أعلى المدخل الجنوبي(١٢٨).

ويتكون هذا المسجد من ساحة صلاة تتوسطها ثلاث دعامات اثنتان منها دعامات مثمنة، قصيرة الارتفاع، والثالث عبارة عن دعامة مستطيلة عمودية على جدار القبلة، وتحمل الأعمدة المثمنة عقودًا مفصصة موازية وعمودية على جدار القبلة (لوحة ٨)، أما الدعامة المستطيلة فتحمل أيضًا عقودًا مفصصة غير أنها عمودية فقط على جدار القبلة، مما يشير إلى

---

(125) Chittick (Neville)، The Coast، Madagascar and Indian Ocean، Cambridge History of Africa، London 1977، Vol. 3، p. 133.

انظر عن السمات المعمارية للمساجد العمانية القديمة:

Costa، Paolo، M. Historic Mosques and Shrines of Oman. BAR International Series 938، 2001.

(١٢٦) عدون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية، ص١٣٨.

(١٢٧) عبدالله، حسن: الحركة المعمارية، ص٩٢.

(١٢٨) المرجع السابق، ص١١٥.

احتمال أن يكون المسجد قد تعرض لتوسعة في هذا الجانب، وذلك بإضافة مساحة تمتد من هذه الدعامة حتى الجدار الغربي للمسجد (لوحة ٩).

أما عن التخطيط فيتكون رواق الصلاة من بلاطتين موازيتين لجدار القبلة، وتتقدمه من الجهة الجنوبية سقيفة أو ساحة بها الميضاة ومدخل المئذنة (شكل ٧) وهذه الساحة التي تتقدم المسجد من الجهة الجنوبية نجدها في معظم مساجد زنجبار وشرق إفريقيا بصفة عامة، وهي أيضًا من الخصائص المعمارية للمساجد العمانية القديمة، إذ دائمًا ما يتقدم رواق الصلاة صرح أو سقيفة، ويتقدم السقيفة فناء أو مساحة مسورة.

والدعامات المثمنة والعقود المفصصة نجدها أيضًا في العديد من جوامع شرق إفريقيا نذكر منها المسجد الجامع في شيلا بجزيرة لامو (كينيا)، وجامع جاميا في "حمروييني"، وجامع فخر الدين في مقديشيو[١٢٩]، والعقود المفصصة وجدت في العديد من مساجد جنوب شرق الجزيرة العربية منها مسجد العقر بولاية شناص(لوحة ١٠)، ومسجد الزرارات بولاية ينقل(لوحة ١١)، الأول يقع على ساحل خليج عمان، والثاني يقع بمنطقة الباطنة بسلطنة عمان أيضًا[١٣٠].

أما محراب المسجد فهو محراب جص مزخرف داخل إطار مستطيل تشغله الزخارف النباتية، وهي الزخرفة الوحيدة في المسجد، ويتوج حنية المحراب عقد مفصص (لوحة ١٢) ويماثل هذا المحراب محراب مسجد صغير في زنجبار بالقرب من ماليندي (لوحة ١٣).

وأما المنارة التي سمي المسجد بها "جامع المنارة" فتقع في الركن الجنوبي الشرقي من المسجد، ويدخل إليها من الساحة التي تتقدم المسجد من الجهة الجنوبية، وهي مئذنة قمعية الشكل تنتهي بقمة مدببة يعلوها هلال، وفتحت بها نوافذ مستطيلة (لوحة ١٤)، وهي طراز انتشر في شرق إفريقيا، إذ نجد مئذنة مماثلة في المسجد الجامع بجزيرة لامو في كينيا (لوحة ١٥)، وهذا الطراز من المآذن التي تشبه القباب القمعية الشكل نجده

---

(129) Horton، Op. Cit.، p. 205.

(130) Costa، Paolo M.، Historic Mosques، p. 163.

يشبه القباب القمعية في المقابر السودانية في نفس الفترة[١٣١]، بينما المآذن في غرب إفريقيا كانت برجية أيضًا ولكن من طراز مختلف متأثر بعمارة الأكواخ الطينية في غرب إفريقيا، ونذكر منها مسجد بوجوني **Bougouni** في مالي (لوحة ١٦)، ويعلو قمة المئذنة والأبراج بيض النعام رمز النقاء والخصوبة، وأيضًا للحماية من الأمطار الغزيرة.

مسجد الفورودانى ١٣٥٥ هـ/١٨٣٩م:

يقع هذا المسجد على ساحل المحيط الهندي بجزيرة زنجبار، أنشاه سعيد بن سلطان قبل ١٨٣٩م، وتم توسعته بعد ذلك في عهد ابنه السلطان برغش بن سعيد (١٨٧٠ - ١٨٨٨م)، وذلك بإضافة مساحة تعادل نصف مساحة المسجد وتمتد بطول واجهته الغربية.

ويحتوي المسجد على سبعة بائكات موازية لجدار القبلة تتكون كل منها من خمسة عقود تقوم على أربع دعامات قصيرة ثمانية الأضلاع، فيما عدا البائكتان السادسة والسابعة من الجهة الجنوبية فتتكون كل منها من أربعة عقود تقوم على ثلاثة أعمدة (شكل ٨).

وشأن معظم مساجد زنجبار يتقدم المسجد من الجهة الجنوبية ساحة الوضوء ويدخل منها إلى رواق الصلاة وإلى الزيادة الغربية، وتحمل هذه العقود سقفًا مسطحًا من الخشب، يعلوه من الخارج سقف ثانوي من الصاج على شكل جمالوني يقوم على ثماني قواعد حجرية، وذلك لوقاية المسجد من الأمطار الغزيرة في هذه المنطقة (لوحة ١٧) [١٣٢].

وقد استخدم في هذا المسجد أكثر من شكل من أشكال العقود، فاستخدمت عقود مفصصة بعضها ثلاثي الفصوص وبعضها الآخر خماسي الفصوص، واستخدمت العقود المفصصة في البائكات الثالثة والرابعة والخامسة، كما استخدمت أيضًا ثلاثة أنواع من العقود المدببة بعضها عقود فارسية (لوحة ١٨) وبعضها الآخر يتسم باتساع بحوره بشكل مبالغ فيه (لوحة ١٩)، وقد فسر أحد الباحثين تعدد أشكال العقود ببوائك بيت الصلاة بأن العقود الثلاثية والخماسية الفصوص ترجع إلى عصر البناء الأصلي المقام قبل ١٨٣٩م، وأن باقي عقود بيت الصلاة المدببة الشكل ترجع إلى عصر إعادة البناء بعد عام ١٨٤٦م[١٣٣]، وليس هناك دليل معماري يؤيد

---

(131) Horton، Op. Cit.، p. 205.

(١٣٢) عبدالله، حسن: المرجع السابق، ص١٠٣.

(١٣٣) المرجع نفسه، ص١٠٤.

ذلك خاصة أننا نلاحظ أن بلاطة المحراب استخدم فيها نوعين من العقود في البائكة الأولى والثانية مما يلي المحراب (لوحة ١٨)، هذا بالإضافة إلى أن ظاهرة استخدام أكثر من نوع من أنواع العقود وعلى وجه الخصوص استخدام عقود مفصصة وأخرى مدببة في بائكة واحدة ظاهرة نجدها في أكثر من مسجد من مساجد زنجبار، إذ نجدها أيضًا في مسجد التقوى (لوحة ٢٠) (١٣٠٢ هـ/١٨٨١م)، ولا تقتصر هذه الظاهرة على مساجد زنجبار فقط بل نجدها في بعض مساجد شرق إفريقيا بشكل عام، ومنها المسجد الجامع في لامو بكينيا (لوحة ٤).

وظاهرة الدعامات الثمانية الأضلاع التي تحمل عقودًا مدببة تتسم باتساع البحور بشكل مبالغ فيه هي أيضًا تأثير وافد من جنوب شرق الجزيرة العربية (قارن لوحة ١٩ لعقود بائكات مسجد الفوروداني بزنجبار باللوحات ٢١، ٢٢، ٢٣ لعقود بائكات مسجد آل حمودة بولاية جعلان بني بوعلي سلطنة عمان، ومسجد العارض بولاية الحمراء، ومسجد بياضة داخل قلعة الرستاق بسلطنة عمان أيضًا. وقد انتشر هذا الشكل المعماري في جنوب الجزيرة العربية، كما انتشر في الحجاز وشرق وشمال شرق الجزيرة العربية.

مسجد السيد حمود البوسعيدي بماليندي ١٢٧٢ هـ/١٨٥٥م:

يقع هذا المسجد على ساحل المحيط الهندي في منطقة ماليندي المجاورة لمنطقة القصور الملكية، أنشأه السيد حمود البوسعيدي ينحدر من أسرة أحمد بن سعيد الأسرة الحاكمة في زنجبار حتى سنة ١٩٦٤م، وفي عمان حتى الآن، وقد أنشئ هذا المسجد سنة ١٢٧٢ هـ/١٨٥٥م، كما هو مدون على شريط كتابي مثبت أعلى محراب المسجد(١٣٤).

ويعتبر هذا المسجد نموذجًا للتأثيرات العربية القادمة من جنوب شرق الجزيرة العربية، فقد احتذى في تخطيطه مساجد عمان الإباضية، إذ يشتمل التخطيط على ثلاثة عناصر رئيسية هي رواق الصلاة يتقدمه صرح أو سقفية من بائكة واحدة، ويتقدم السقفية فناء أو مساحة مسورة، وفي هذا

(١٣٤) أشارت الدراسة الخاصة بالحركة المعمارية في زنجبار إلى هذا الشريط الكتابي دون أن تورد نصه، كذلك أشار إليه هورتون دون أن يورد نصه أيضًا. انظر: عبد الله، حسن: الحركة المعمارية، ص ١٠٤؛

Horton، p. 207.

المسجد نجد رواق الصلاة يتوسطه عمود واحد يحمل عقدين مدببين يشكلان بائكة موازية لجدار القبلة (شكل ٩)، ويتقدم رواق الصلاة بائكة من أربعة عقود فارسية Keel Arch تقوم على ثلاثة أعمدة قصيرة (لوحة ٢٤). ويتقدم هذه البائكة فناء، وسقف المسجد مسطح يعلوه سقف ثانوي ذي شكل جمالوني للوقاية من الأمطار، ويكاد هذا السقف الجمالوني أن يكون هو الاختلاف الوحيد بين هذا المسجد ومساجد عمان، إذ نجد هذا التخطيط المشتمل على هذه العناصر المعمارية الثلاثة رواق الصلاة، السقفية أو الصرح، الفناء في العديد من المساجد الإباضية في عمان نذكر منها مسجد العقر في ولاية شناص (شكل ١٠) وجامع السنسلة في مدينة صور (شكل ١١).

انتشر هذا التخطيط الثلاثي الذي ينقسم فيه المسجد إلى ثلاثة أقسام رئيسية، وهي: بيت الصلاة، والظلة، والصحن، في جنوب شرق الجزيرة العربية والحجاز، بل ونجده في شمال الجزيرة العربية، ومنها مسجد المهندي في جزيرة دلما[١٣٥] بالإمارات العربية (شكل ١٤).

ويحتوي مسجد السيد حمود في أحد أركانه على مئذنة صغيرة، نذكر منها مسجد صور، والمسجد الكبير في صلالة، ومسجد فتح البوسعيد في بوشر على شكل جوسق أو برج صغير، وهي أيضًا ظاهرة نجدها في معظم المساجد الإباضية القديمة، وإن كانت في المساجد العمانية تأخذ شكل قبيبة صغيرة Turret يطلق عليها مصطلح "بومه" (اللوحات ٣٤، ٣٥، ٣٦)، وقد نسب هذا المسجد خطأ إلى السيد سعيد بن سلطان[١٣٦].

مسجد عائشة بنت جمعة ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م:

وهو مسجد أباضي آخر يتكون من العناصر المعمارية الثلاثة التي تتكون منها المساجد العمانية التاريخية، وهي رواق الصلاة يتقدمه صرح أو سقفية يتقدمها الفناء وبه الميضأة، ورواق الصلاة في هذا المسجد يقوم سقفه على الجدران الخارجية وعلى بائكة من ثلاثة عقود يحملها عمودان (شكل ١٢) وتحتوي السقفية على محراب مجوف يتوسط الجدار الجنوبي

---

(١٣٥) دلما: جزيرة من توابع أبو ظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، وتقع على الجانب الغربي من منطقة الخليج العربي، وبها العديد من المباني التراثية الدينية والمدنية. انظر: العزاوي، عبد الستار: جزيرة دلما، مركز زايد للتراث، ٢٠٠٢م، ص ٢٣.

(136) Horton, Op. Cit., p. 207.

للمسجد، وهي ظاهرة نجدها في المسجد السابق (مسجد السيد حمود)، ونجدها في المساجد الإباضية في سلطنة عمان.

والأعمدة في هذا المسجد دعامات مثمنة تحمل عقود فارسية مدببة Keel Arch (لوحة ٢٥)، ويتوسط جدار القبلة محراب مجوف خال من الزخارف يتوج حنية عقد مفصص (لوحة ٢٦) ويغطي السقف الرئيسي المسطح للمسجد سقف ثانوي على شكل جمالون من الصاج يقوم على قواعد حجرية (لوحة ٢٧) تكاد تشكل الفارق الوحيد في عمارة هذا المسجد بينه وبين المساجد الإباضية في عمان نفسها، والواقع أن انتقال سعيد بن سلطان إلى زنجبار واتخاذها عاصمة للجناح الإفريقي من دولته أدى إلى تحول زنجبار من قرية صغيرة تعيش على صيد الأسماك في بداية القرن الثامن عشر، أو كما وصفها "بيسل" في نهاية القرن الثامن عشر عندما كانت لا تشتمل سوى على عدد قليل من الأكواخ إلى تلك المكانة التي وصلت إليها على عهد السيد سعيد بن سلطان، مما دفع البعض إلى القول بأن عمارة زنجبار من قصور ومساجد هي عمارة العرب العمانيين حيث امتلأت الجزيرة بسكنى العرب والهنود(١٣٧).

المساجد الهندية:

تعرف المساجد الهندية في شرق إفريقيا باسم "جمعة خانة" وذلك للتفرقة بينها وبين المساجد السواحلية، وإذا كانت المساجد الهندية في هذه المنطقة ترجع جميعها إلى القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، إلا أن الأدلة الأثرية تشير إلى وجود صناع هنود على الساحل الشرقي لإفريقيا منذ القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي(١٣٨).

وتشير المصادر البرتغالية إلى استقرار هنود من كامباي Cambay سنة ١٥٠٤م في ممباسا، وأنهم لعبوا دورًا كبيرًا في الاقتصاد والتجارة، وإن كانت هذه المصادر البرتغالية لم تشر إلى كونهم هنود مسلمين أم هندوس، وإن أشارت إلى أن بعضهم كانوا مسيحيين.

---

(١٣٧) قاسم، جمال زكريا: الدولة العمانية في شرق إفريقيا، حصاد ندوة الدراسات العمانية، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة ١٩٨٦م، المجلد الثالث، ص١٠٦.

(138) Horton، Op. Cit.، p. 207.

وازداد عدد الهنود بشكل كبير في هذه المناطق منذ بداية القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي ترجع إليها المساجد الباقية على هذا الساحل وفي جزره المختلفة، ويرجع ذلك إلى تأسيس شركات هندية لفروع كبيرة لها في زنجبار، ومعظمهم كان قادمًا من حوجارت وكوتش وكاثياوار.

والواقع أننا لا نستطيع أن نفصل بين هذه التأثيرات فقد كانت العلاقات التجارية مع السواحل الغربية لشبه القارة الهندية علاقات قوية ومتبادلة، ورافقت هذه العلاقات التجارية النشطة ظواهر حضارية مميزة تمثلت في عملية التأثر والتأثير العميقين في شتى مجالات النشاط البشري(١٣٩).

ومع تعاظم دور الهنود في التجارة الإفريقية ازدادت ثرواتهم ونفوذهم، وتأسست مجتمعات هندية وبنيت العديد من المساجد للشيعة الهنود من إسماعيلية وإثنا عشرية، وكانت المساجد الهندية الرئيسية مرتبطة بطبقة التجار، وتوجد في المدن التجارية الكبرى.

ففي زنجبار في منطقة تعرف باسم الفوروداني يوجد مسجّد "جمعة خانة" لطائفة الإسماعيلية، ويرجع تاريخ تأسيسه إلى سنة ١٨٣٧م، وقد أعيد بناؤه من قبل تاجر هندي هو قاسم داساني سنة ١٩٠٥م(١٤٠).

ومسجد حجة الإسلام ويرجع تاريخه إلى سنة ١٨٩٤ - ١٨٩٥م(١٤١) وهو خاص بالشيعة الإثنا عشرية، ومسجد قوة الإسلام وأنشئ سنة ١٩٠٠م، ومسجد "ماتيمي" للشيعة الإثنا عشرية أيضًا، ويرجع تاريخه إلى سنة ١٨٦١م، ونلاحظ إطلاق الهنود أسماء مساجد كبرى في الهند على مساجدهم في زنجبار.

وفي ضاحية "بكجفشنى" بزنجبار أيضًا أنشأ أحد التجار الهنود وهو جيوانجي A.M Jivanjee مسجدًا قبل سنة ١٩٠٠م، وقد أعيد بناؤه على طراز عربي المئذنة سنة ١٩٨٢م(١٤٢).

وفي ممباسا مسجدين أحدهما مسجد ميمون، ويرجع تاريخه إلى سنة ١٨٨٠م، والآخر مسجد "باهدالا" وهو مسجد حديث أنشئ سنة ١٩٥٠م وكلاهما يستمد عناصره من عمارة المعابد الهندوسية.

---

(١٣٩) حبيب الحاخان: دور عمان في نشاط التجارة العالمية، حصاد ندوة الدراسات العمانية، مسقط ١٩٨٦م، المجلد الثالث، ص٥٦.

(140) Horton، Op. Cit.، p. 207.

(١٤١) مسجد حجة الإسلام، ذكره حسن عبد الله باسم مسجد "هيجا قبل إسلامه" إلخ المرجع ،حسن عبدالله

(142) Horton، Op. Cit.، p. 207; السابق، ص ٢٩٦.

وفي شاك شاك (Chake Chake) يوجد مسجد للبهرة يعتبر مثالاً لعمارة أواخر القرن التاسع عشر، حيث نجد استخدامًا مكثفًا للخشب الهندي المحفور[١٤٣]، ويبدو تأثير استخدام صناع هنود لحفر الزخارف النباتية على الأخشاب في المساجد العربية والمساجد الهندية واضحًا فنجد هذه الزخرفة النباتية تعلو مدخل مسجد عائشة بنت جمعة في زنجبار(لوحة ٢٨)، وهذه الزخارف النباتية الهندية وأسلوب تنفيذها نجدها على أبواب المساجد والمنازل في عمان نفسها[١٤٤](لوحة ٢٩).

وتتميز المساجد الهندية في شرق إفريقيا باحتوائها على أكثر من طابق، وتحتوي الطوابق العليا منها على مدارس ومطابخ وأماكن للطهارة بالإضافة إلى مكاتب ومكتبة، وتجمع الكثير من هذه المساجد بين التأثيرات الهندية وأساليب ومواد البناء المحلية مثل استخدام الصخور المرجانية، سواء المرجان الأرضي أو المرجان البحري المسامي، وتتم تسوية قطع المرجان في أوجه الجدران، كما استخدمت الحجارة المرجانية في بناء المحاريب التي كانت تشيد كاملة بالمرجان المسامي[١٤٥] واستخدمت عيدان شجر المنجروف بشكل أساسي في الأسقف، ونتج عن ذلك أن اتساع الحجرات لا يزيد عن ثلاثة أمتار، ومن ثم استخدمت الصلبة المجلوبة من الغابات الساحلية في بناء منازل الطبقات العليا، وفي تسقيف المساجد حيث تتطلب الأسقف باعًا أكبر.

ويذهب البعض إلى القول بأن هذه الأبواب المنحوتة وأعتابها ذات الزخارف النباتية تعتبر أبواب ذات سمات هندية وأشكال عمانية منفذة بأخشاب محلية[١٤٦]، مما يدفعنا إلى القول بامتزاج هذه التأثيرات العربية والهندية والمحلية، ونتج عنها ما يمكن أن نطلق عليه طراز العمارة السواحلية، وهو طراز غلبت عليه التأثيرات العربية منذ عصر سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦م)، أما التأثيرات الهندية الخالصة فنجدها في المآذن القصيرة المزدرجة والتي تكتنف المدخل كما هو الحال في مسجد الجمعة في هراري بأثيوبيا (لوحة ٣٠) أو المدخل الذي يعلوه نفس الطراز

---

(143) Horton، Op. Cit.، p. p. 208.

(١٤٤) القلاع والحصون في عمان، ص١٦٤.

(145) Horton، Op. Cit.، p. 199.

(146) Ibid.، p. 199.

من هذه المآذن التي على هيئة جوسق قصير تعلوه قبة كما في مسجد ريادا في جزيرة لامو بكينيا (لوحة ٥).

وهـذه الجواسـق القصيرة تسقفها قبة كروية أو بصلية أو مسلة تزين الأركـان والواجهة الخارجية للمساجد سمة معمارية مميزة للمساجد الهندية مـنذ العـصر المغولي، ولم تتخل عمارة المساجد في شرق إفريقيا عن هذه التأثيرات الهندية حتى العصر الحديث، فقد أنشئ مسجد "الجمعة" في نيروبي عاصـمة كينـيا محتذيًا النموذج الهندي المغولي في قبابه الثلاثية البصلية الـشكل، والمـآذن المزدوجة التي تكتنف المدخل، والأبراج الجوسقية التي تـزين الواجهة (لوحة ٣١) أنشئ على نمط مسجد الإمبراطور المغولي شاه جهان (مسجد الجمعة) في مدينة دلهي والذي يرجع تاريخه إلى سنة ١٦٥٠ - ١٦٥٦م[١٤٧] (اللوحات ٣٢، ٣٢).

سواكن:

كانـت سـواكن عبارة عن مرسى على ساحل البحر الأحمر السوداني، وترجع أقدم الوثائق الخاصة بها إلى سنة ٩٦٩م، وعرفت كميناء شحن بين البحـر الأحمـر وطـرق القوافل في الداخل وخاصة وادي النيل، واختصت سواكن بنقل تجارة الحبشة والنوبة، وتصلها بحرًا سفن الحبشة وبرًا قوافل الـنوبة محملة بالدقيق والشمع والعسل وتصل تجارتها لمصر بطريق البحر الأحمر لسهولته.

وقـد أدى الـصراع بـين مينائي عدن وجده، وسوء معاملة آل رسول باليمن للتجار أدى إلى توجه السفن إلى ميناء سواكن وجزر دهلك[١٤٨].

وقـد كـان سـكانها مزيج من المسلمين والمسيحيين، على الأقل حتى القرن ١٣م، ووصفها اليعقوبي بقوله "سواكن بلد مشهور على بحر "الجار" قـرب عـيذاب تـرفأ إلـيه سـفن الذين يقدمون من جدة وأهله بجاة سود نصارى"[١٤٩].

---

(147) Deasai، Zianddin، Mosques of India Delhi، 1966، p. 47.

(١٤٨) فهمـي، نعـيم زكي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب (أواخر العصور الوسطى) الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص٤١.

(١٤٩) الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت: معجم البلدان، دار صادر بيروت (د.ت)، جـ٣، ص٢٧٦.

وقد تدهورت أهمية هذه المدينة في العصر العثماني منذ القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، غير أنها انتعشت مرة أخرى بعد افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩م.

وبنيت بها العديد من المنازل والمساجد خلال الثلاثين سنة التالية لافتتاح قناة السويس، وما بين عامي ١٩٠٩ و ١٩٢٢م انتقلت الكثير من الأنشطة التجارية منها إلى بور سودان(١٥٠)، وأهم مساجد سواكن الأثرية مسجد المجيدي، وهو مسجد يرجع إلى القرن السادس عشر أعيد بناؤه في القرن التاسع عشر، ويقع على الشاطئ بجوار كرفان سراي، ويتكون مخططه من بلاطتين تتوازيان مع جدار القبلة، وخلفهما فناء مكشوف، وللمسجد مئذنة مثمنة في الركن الجنوبي الغربي ومنبر من الحجر المنحوت، وفي الركن الشمالي الشرقي خلوة لقراءة القرآن.

ومن مساجد سواكن أيضًا المسجد الحنفي، ويقع على الشاطئ ولا يختلف في تخطيطه عن المسجد السابق وله محراب جص، ومنبر من الحجر المنحوت(١٥١).

وأما أكبر مساجد سواكن فهو مسجد سيدي محمد السر، ويرجع تاريخه إلى أواخر القرن التاسع عشر، واتبع في تخطيطه تخطيط المساجد الجامعة التقليدية، إذ يتكون من صحن مكشوف تحيط به الأروقة من ثلاث جهات، وأكبر هذه الأروقة رواق القبلة، ويتكون من ثلاثة بائكات، وربما كان هذا المسجد إعادة بناء لمسجد قديم(١٥٢).

وفي الركن الشمالي الغربي حيث تقع الخلوة نجد ضريح ذي قبة مزخرف بأشكال جصية حلزونية وشبكات من خشب الساج الجاوي(١٥٣)، في كل ركن من أركانه، وله مئذنة برجية في الركن الجنوبي الغربي.

ويتضح من الوصف السابق لمساجد سواكن وقوع كثير من التأثيرات المصرية عليها، منها المحاريب الحجرية التي انتشرت في مصر في النصف

---

(150) Horton، Op. Cit.، p. 196.

(151) Tedesse، Tamrat، The Road and The Horn، Camb. Hist. Of Africa، London 1977، Vol. 3، p. 178.

(152) Horton، Op. Cit.، p. 196.

(١٥٣) خشب صلد قصير التجزع، ويتمتع بمقاومة طبيعية لدخول النمل الأبيض، كان يستورد من الهند وأصبح اعتبارًا من القرن ١٢ هـ/١٨م يصنع من غابات شرق إفريقيا، وقد كان هذا الخشب يعالج بزيت سمك القرش مما يساعد على حفظه لسنوات طويلة.

الثاني من القرن التاسع الهجري، وبداية القرن العاشر، ونذكر منها محراب مسجد فاطمة الشقرا تحت الربع، ومحراب القاضي يحيى بالحبانية، ومحاريب منشآت الأشرف إينال والأشرف قايتباي بصحراء المماليك(١٥٤)، كذلك تخطيط الصحن المكشوف تحيط به الأروقة من ثلاث جهات أكبرها رواق القبلة في مسجد "سيدي محمد السر" هو اتباع لتخطيط المساجد الكبرى المبكرة مثل التخطيط الأصلي لمسجدي عمرو بن العاص والجامع الأزهر ومساجد شمال أفريقيا(١٥٥).

أما ترك فناء خلف جدار القبلة فربما كان ذلك توسعة لرواق القبلة في فترة تالية لبناء المسجد، كما هو الحال في المسجد الجامع في هراري (شكل ١٣).

ومن التأثيرات الوافدة أيضًا بناء الأضرحة داخل المساجد، كما هو الحال في مسجد سيدي محمد السر، وهو ما لم نجده في مساجد زنجبار بحكم تأثير المذهب الأباضي، والواقع أن تاريخ عمارة المساجد في شمال شرق إفريقيا، سواء في الجزء الساحلي (أرخبيل دهلك، سواكن، بور سودان) أو الجزء الداخلي (مروى، دنقلة، قصر أبريم).

تعتبر جزءًا من عمارة وادي النيل، من حيث استخدام الطوب المحروق المدعم بروابط خشبية وهو ما نجده في العمارة الدينية والمدنية في سنار، أو حتى استخدام أساليب محلية في البناء مثل استخدام كسر الجرانيت والأساسات لمقاومة الزلازل، مع تسليح الجدران بأخشاب أفقية على فواصل بمقدار متر واحد كعنصر مقاوم للزلازل أيضًا كما هو الحال في عمارة هراري(١٥٦).

وفي مساجد هراري عملت قنوات على السطح العالي للمساجد بتجميع مياه الأمطار، ثم تنساب عبر مجاري بعيدًا عن الجدران، وكل مسجد له مئذنة ذات سلم في الجانب الجنوبي الشرقي من الجدار الخارجي لرواق الصلاة، وأحيانًا تكون هذه المئذنة مجرد برج صغير مفتح الجوانب لحماية المؤذن من الشمس والمطر، وهي أساليب معمارية تختلف من عمارة المساجد السواحلية في وسط وجنوب شرق إفريقيا.

---

(١٥٤) حسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية، القاهرة ١٩٤٦م، ص٢٤٨- ٢٤٩.

(155) Hillen Brand، Robert، Islamic Architecture، Edinburgh University Press، 1994، p. 433.

(156) Horton، Op. Cit.، p. 197.

والواقـــع أن مصادر دراسة عمارة شمال شرق إفريقيا قليلة بل نادرة، وفي هذا الصدد يذكر "هلنبراند" أن الباحثين في مجال العمارة الإسلامية في الـــشرق الأوســـط اتجهـــوا إلـــى دراســـة آثار أوطانهم بشكل خاص، وذلك لاعتـــبارات عديـــدة، بينما معرفتهم وإحاطتهم بآثار الدول الإسلامية الأخرى تأتـــي فـــي المـــرتبة الثانية(١٥٧)، ومن ثم فإن العمارة الإسلامية في شرق وشمال شرق إفريقيا ما تزال في حاجة إلى مزيد من البحث والدراسة.

(157) Hillen Brand، Op. Cit.، pp. 6 – 16.

الخرائط والأشكال واللوحات

الخرائط والأشكال واللوحات

أولاً: الخرائط

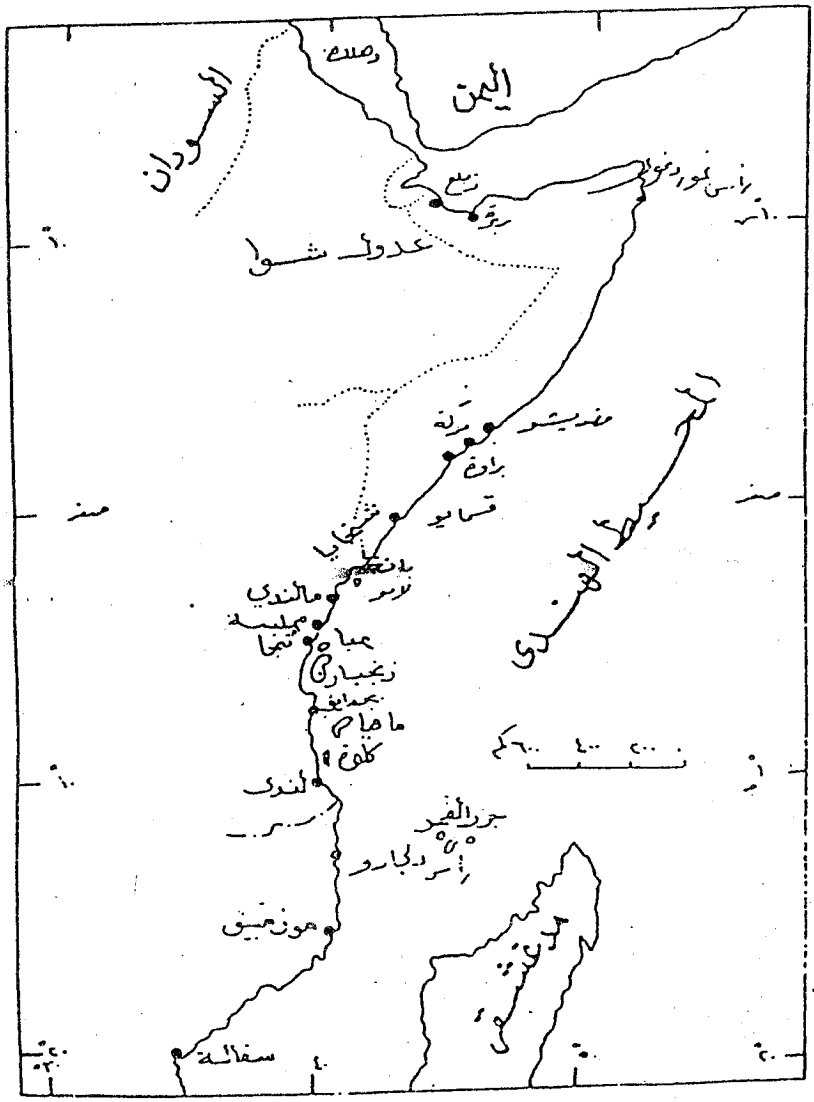

خريطة رقم (١): ساحل شرق أفريقيا في العصور الوسطى

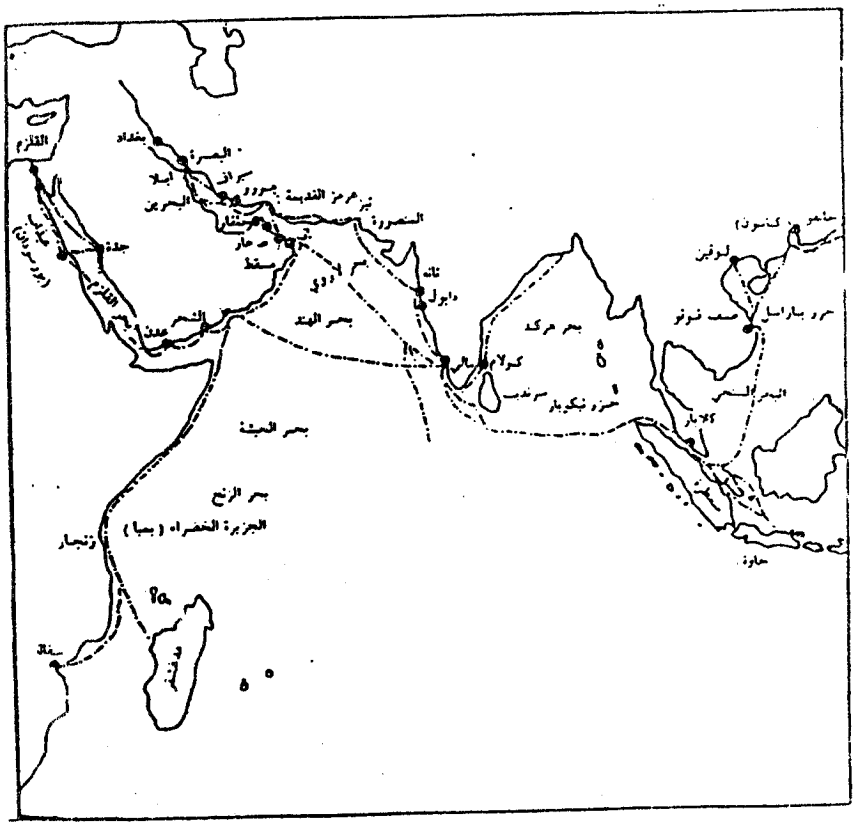

خريطة رقم (٣): طرق التجارة بين آسيا والجزيرة العربية وساحل شرق إفريقيا.

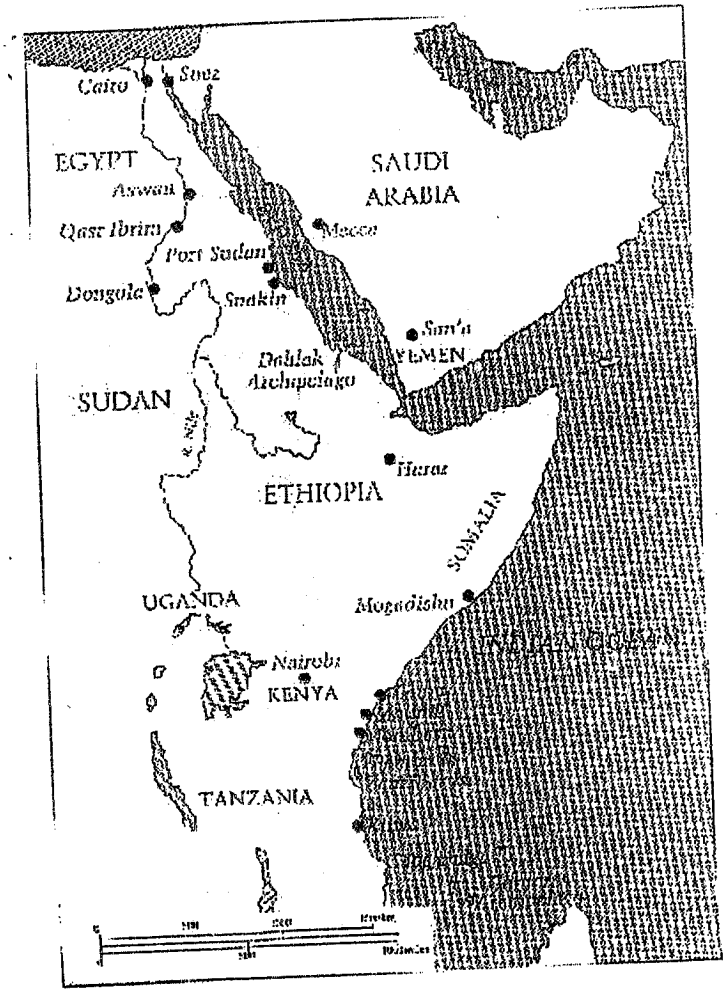

خريطة رقم (٣): المستوطنات والمراكز الحضارية الإسلامية على ساحل شرق أفريقيا (عن **Horton**).

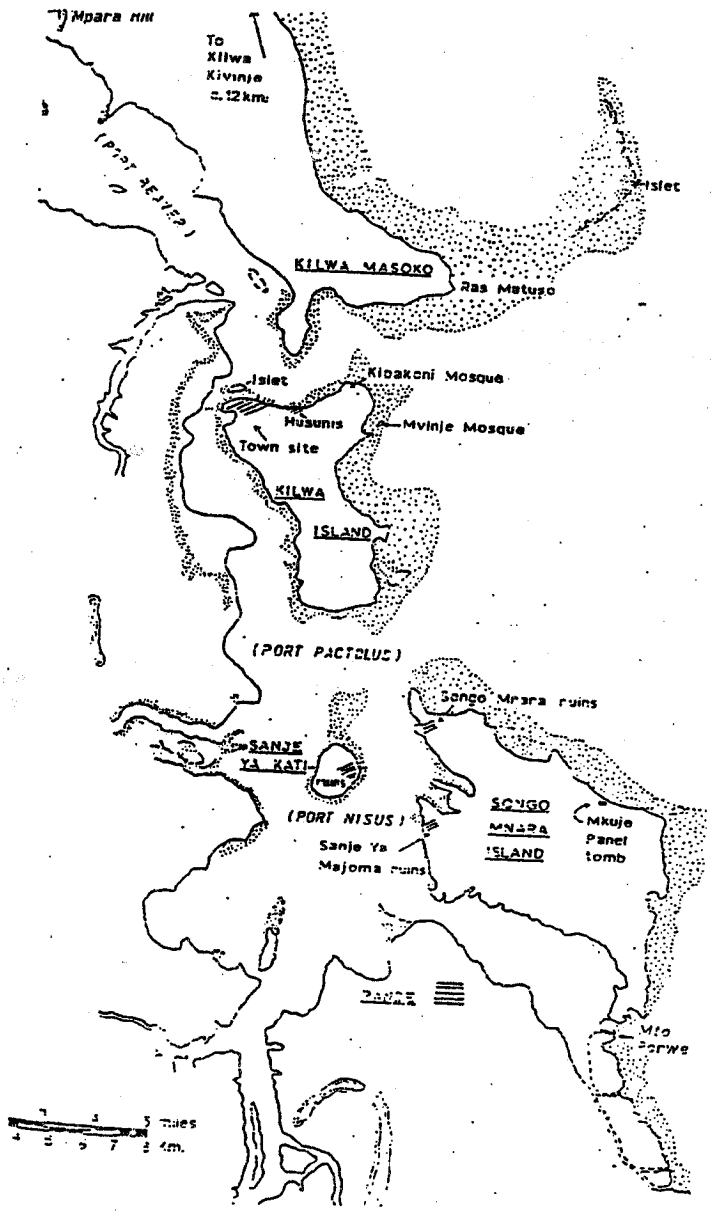

خريطة رقم (٤): منطقة كلوا، الساحل والجزيرة والجزر المجاورة. (عن: Chittick)

ثانيًا:الأشكال

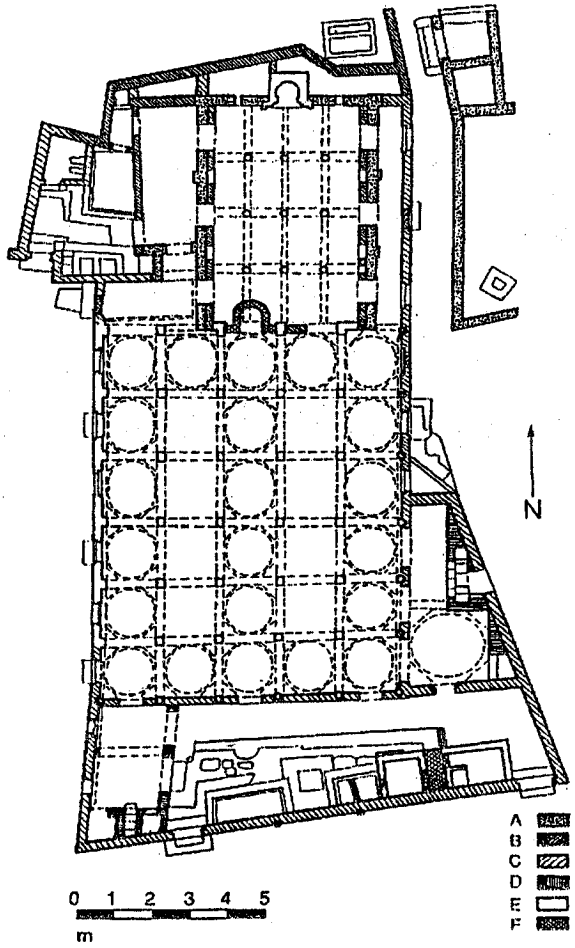

شكل رقم (١): مسقط أفقي للمسجد الجامع في كلوا كيسيواني (عن: **Chittick**).

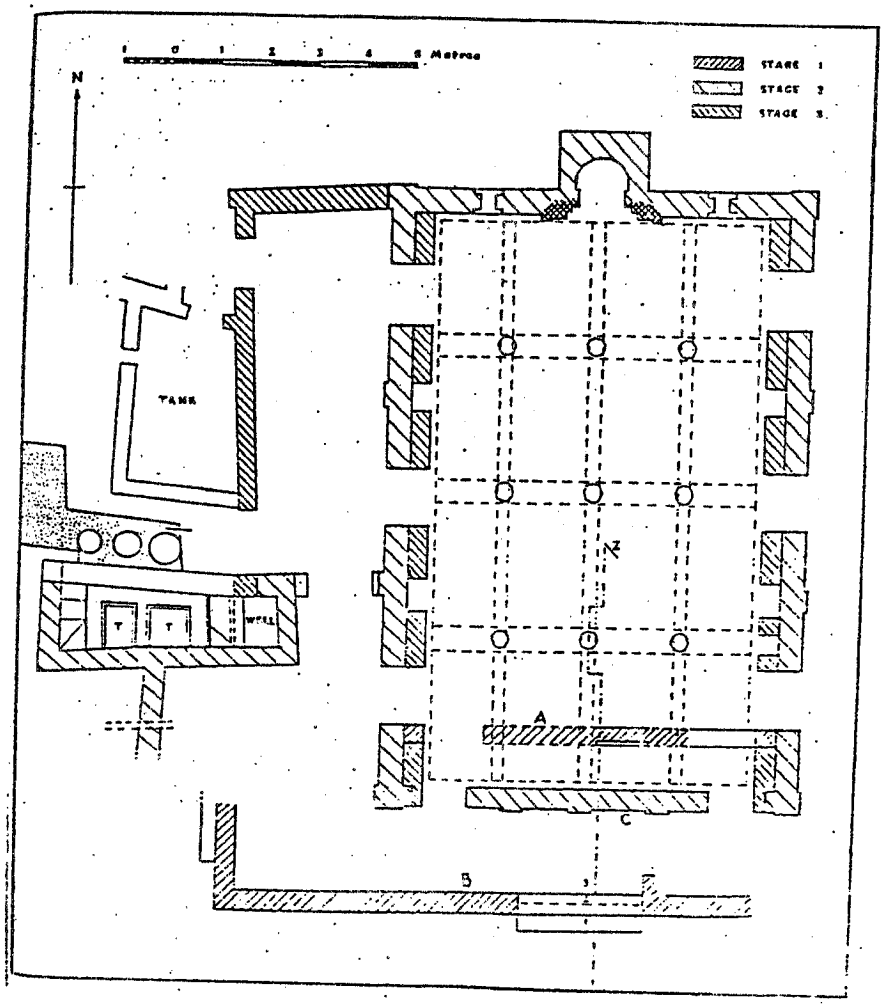

شكل رقم (٣٠): مسقط أفقي للجزء الشمالي من المسجد الجامع في كلوا كيسيواني (عن: **Chittick**).

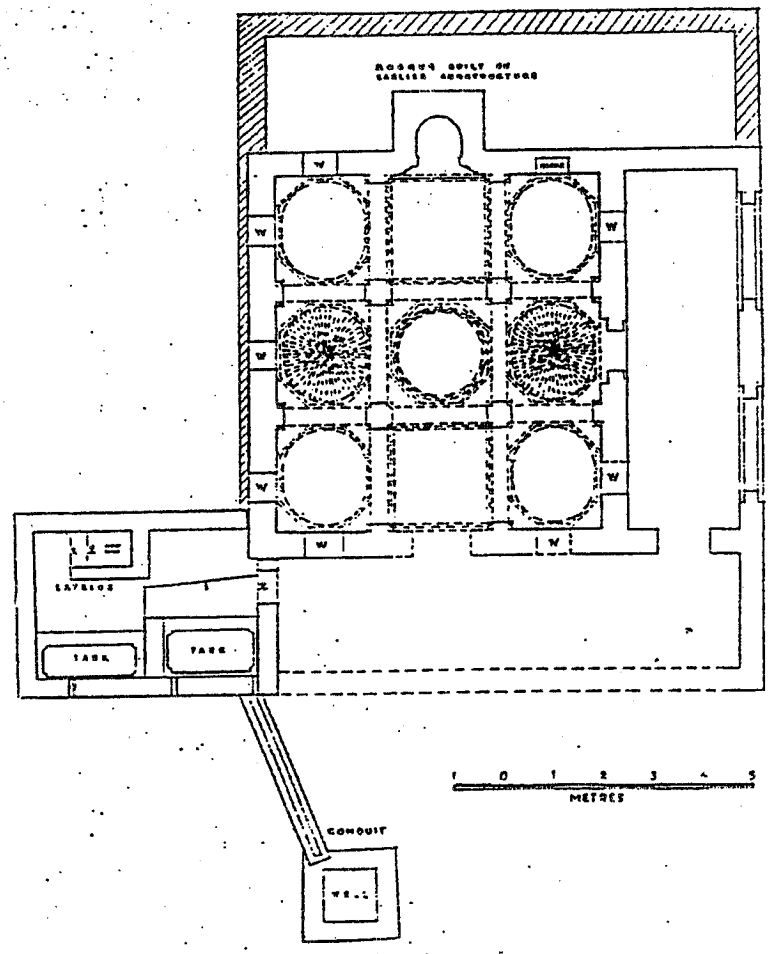

شكل رقم (٣): مسقط أفقى للمسجد الصغير فى كلوا كيسوانى (عن: **Chittick**).

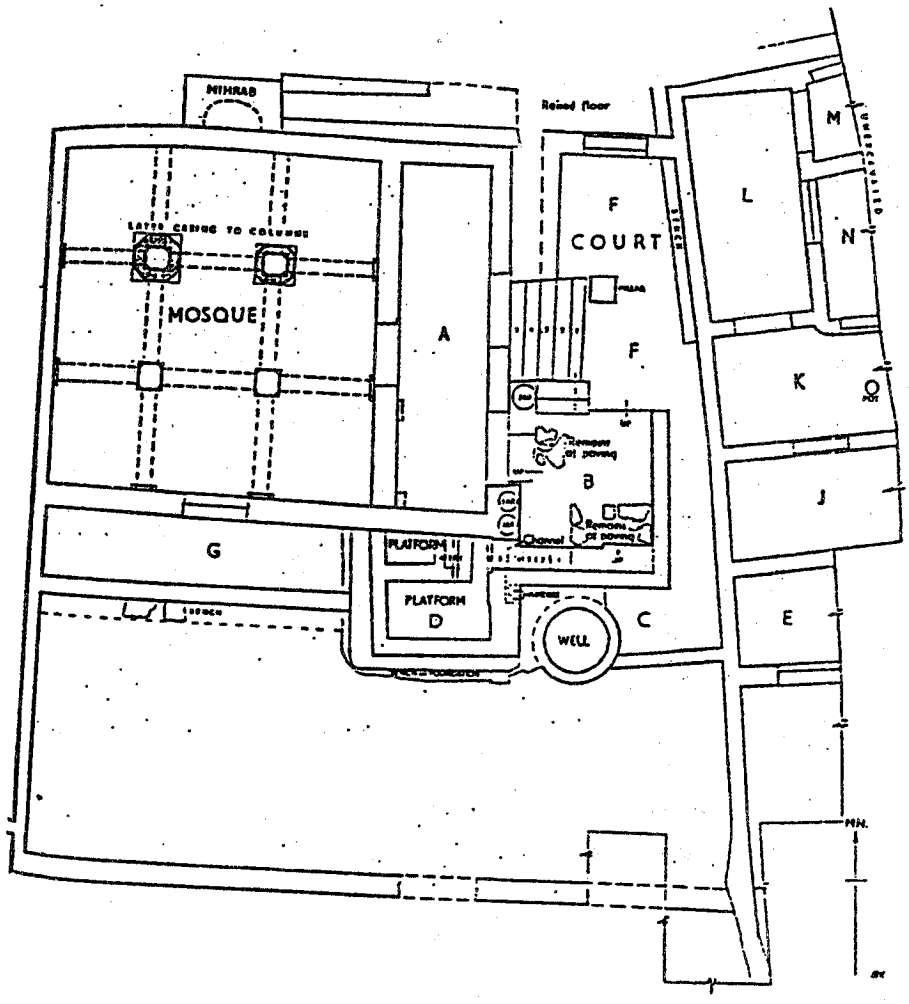

شكل رقم (٤): مسقط أفقي لجامع جانجواني **Jangwani** (عن: **Chittick**).

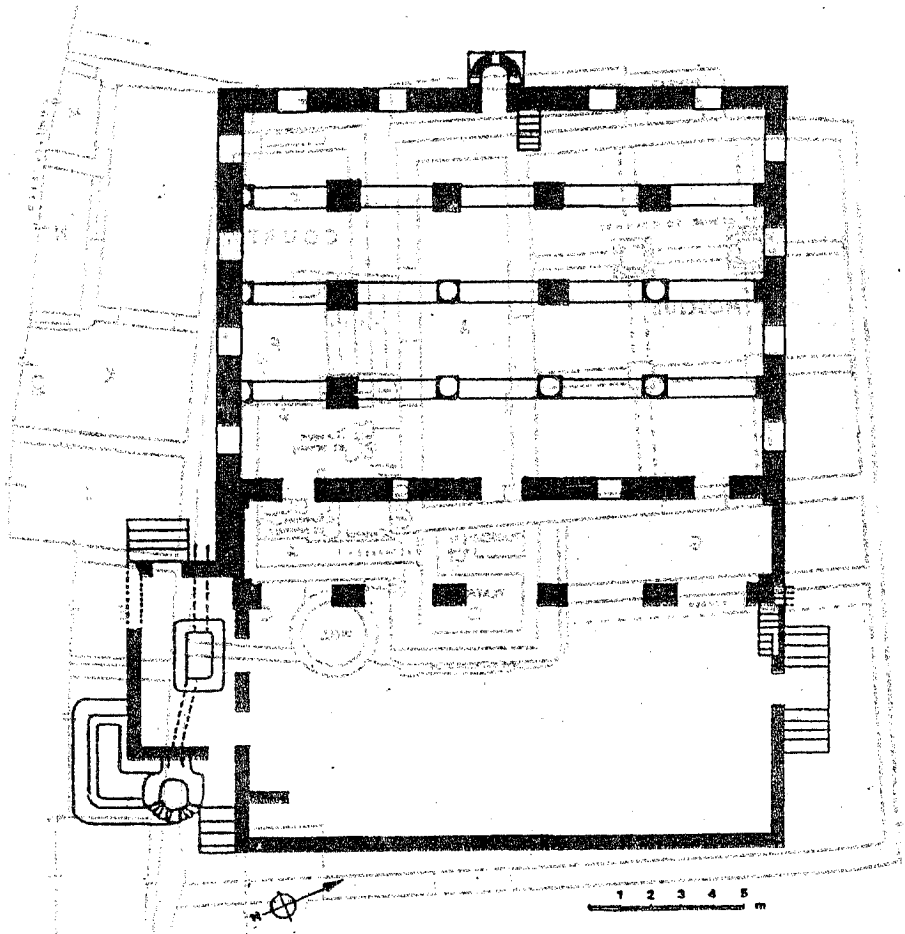

شكل رقم (٥): مخطط لأحد المساجد العمانية يبين أسلوب تزويد المياه (مسجد نخل) (عن باولو كوستا).

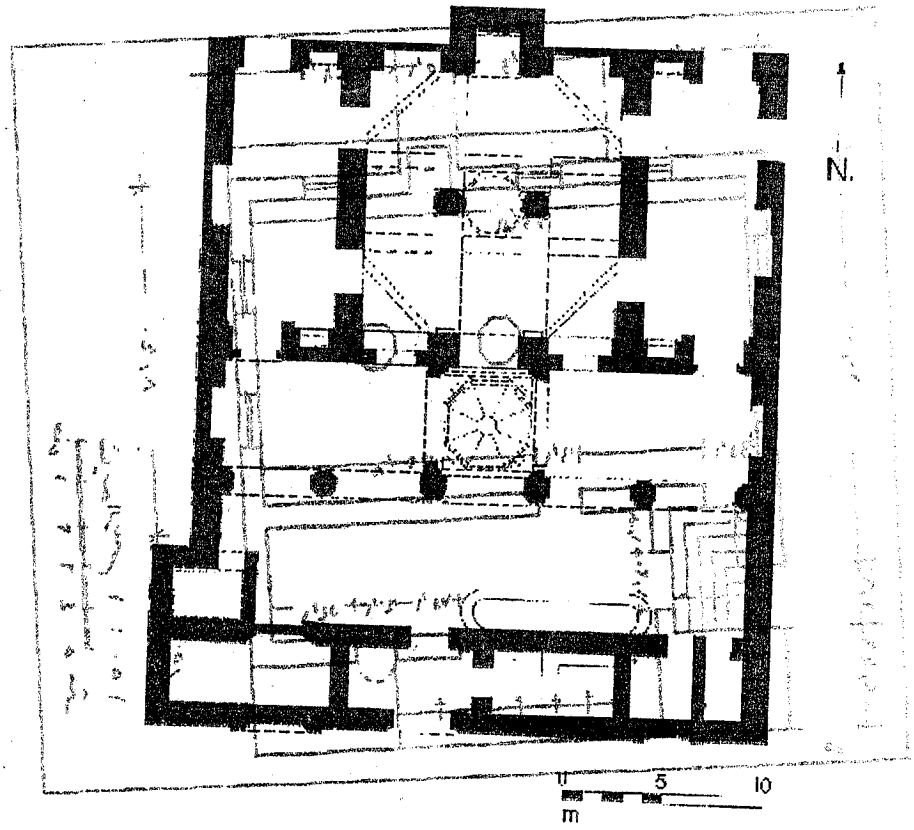

شكل رقم (٦): مسقط أفقي لجامع فخر الدين (عن **Horton**).

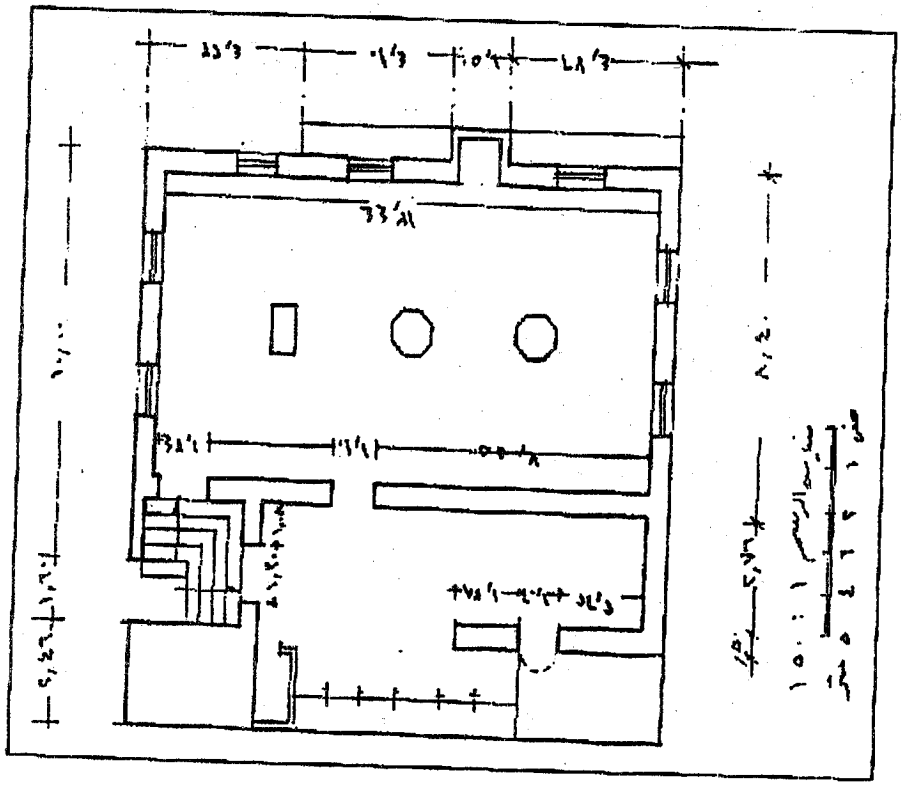

شكل رقم (٧): مسقط أفقي لمسجد المنارة (عن: حسن عبدالله).

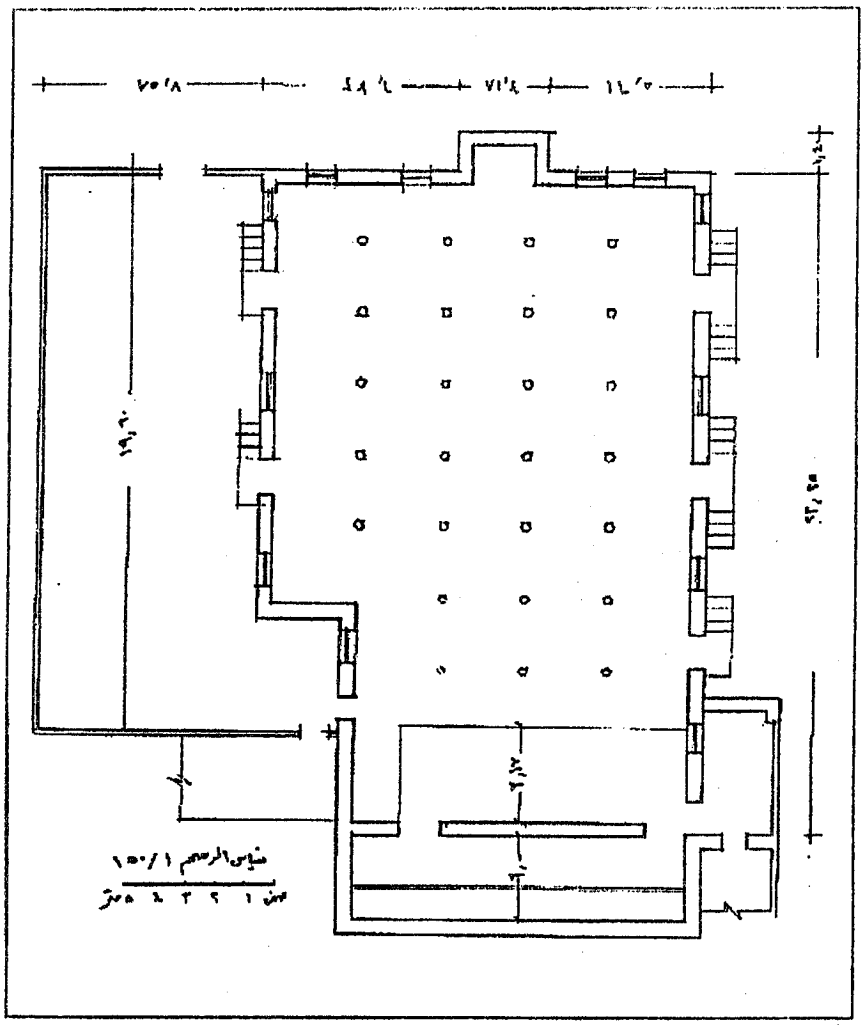

شكل رقم (٨): مسقط أفقي لمسجد الفوروداني بزنجبار.

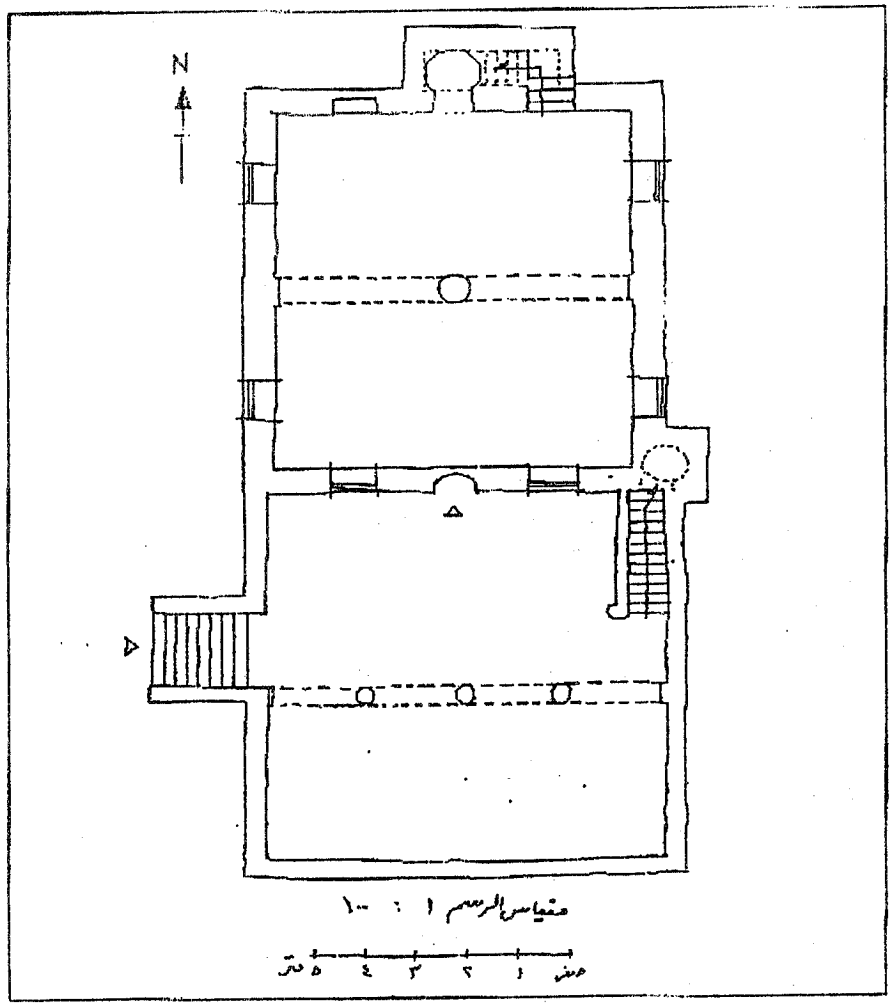

شكل رقم (٩): مسقط أفقي لمسجد السيد حمود البوسعيدي بماليندي (١٢٧٢ هـ/ ١٨٥٥م).

(عن: حسن عبدالله)

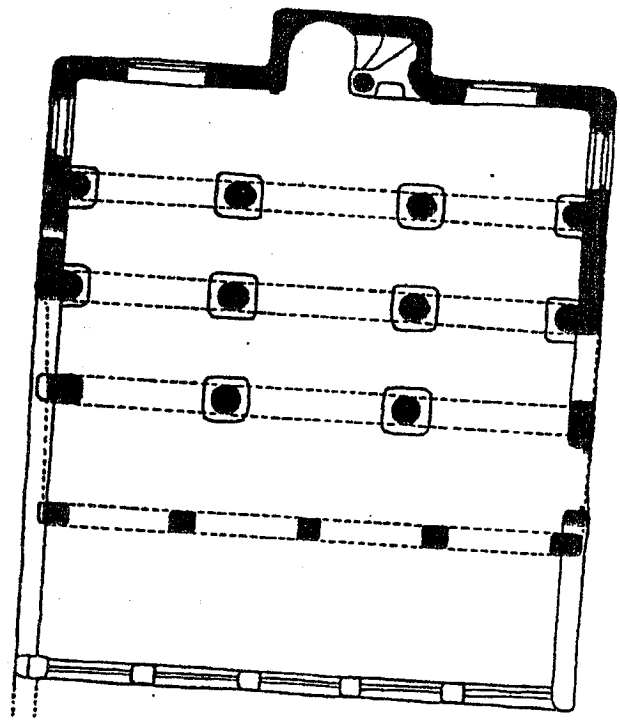

شكل رقم (١٠): مسقط أفقي لمسجد العقر بولاية شناص عمان (عن: باولو كوستا).

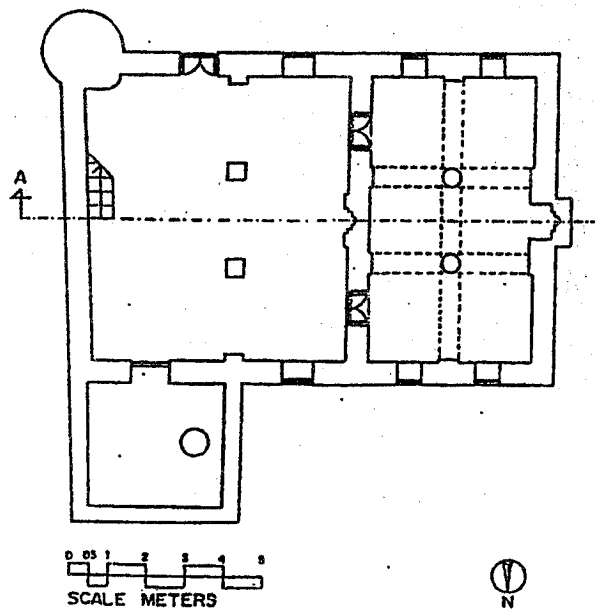

شكل رقم (11): مسقط أفقي لمسجد السنسلة في مدينة صور– عمان (عن: باولو كوستا).

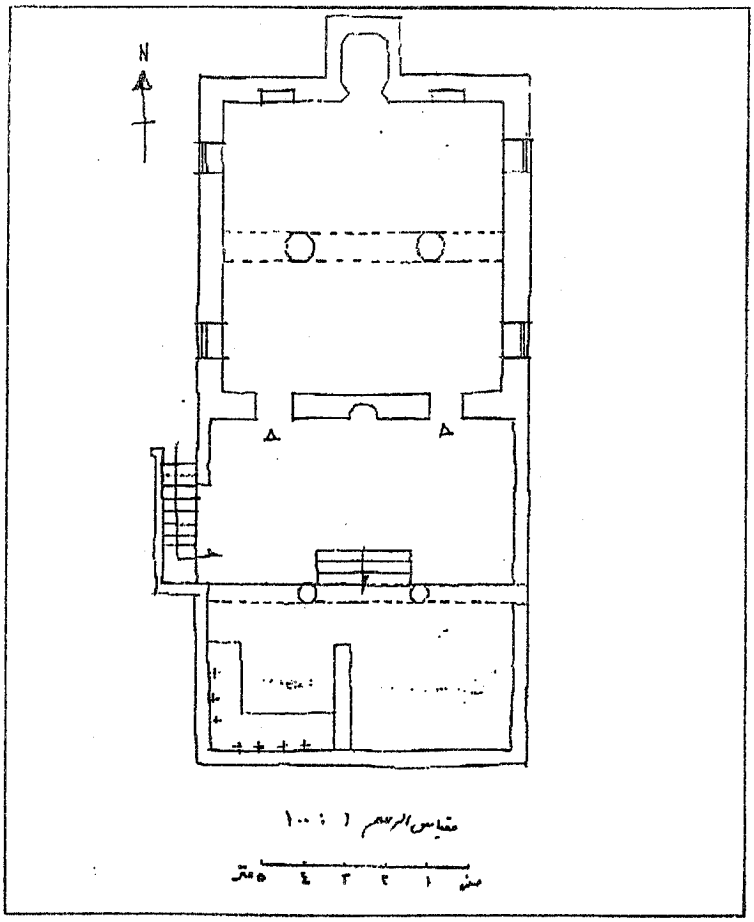

شكل رقم (١٣): مسقط أفقي لمسجد عائشة بنت جمعة بزنجبار (عن: حسن عبدالله).

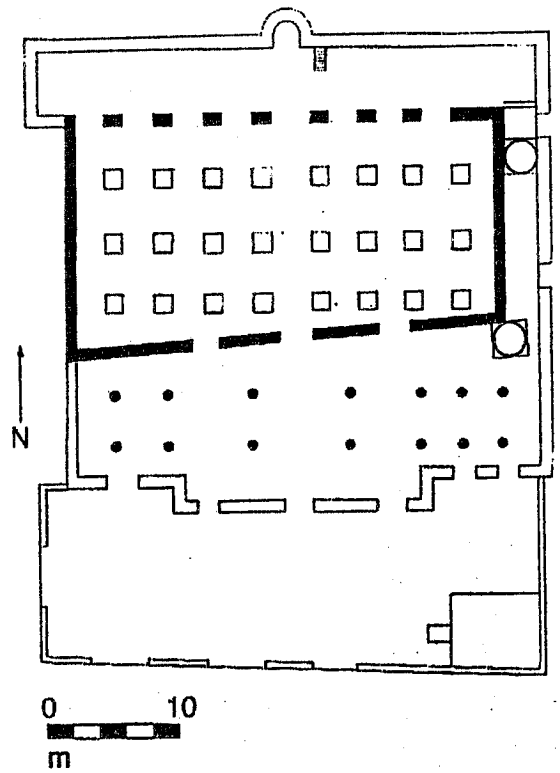

شكل رقم (١٣): مسقط أفقي للمسجد الجامع في هراري- أثيوبيا (عن: Horton)

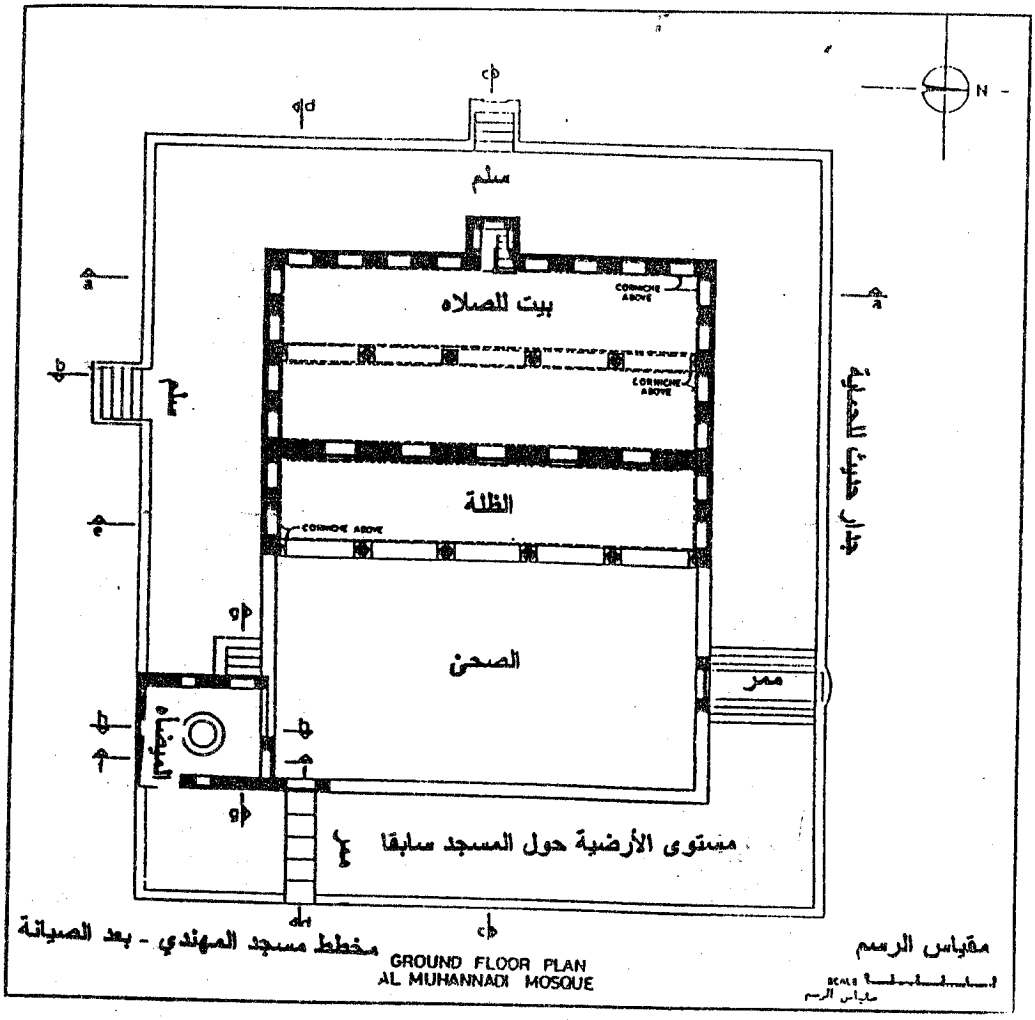

شكل رقم (١٤): مسقط أفقي لمسجد المهندي في جزيرة دلا (عن: العزاوي)

ثالثا: اللوحات

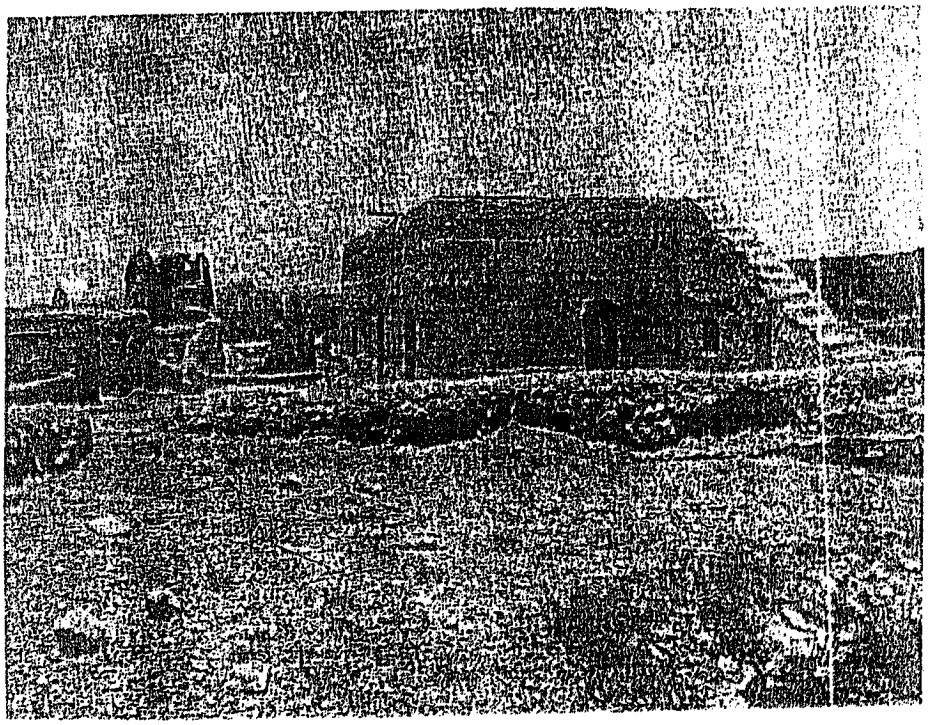

لوحة رقم (1): مسجد الشارجة بولاية نزوى – عمان.

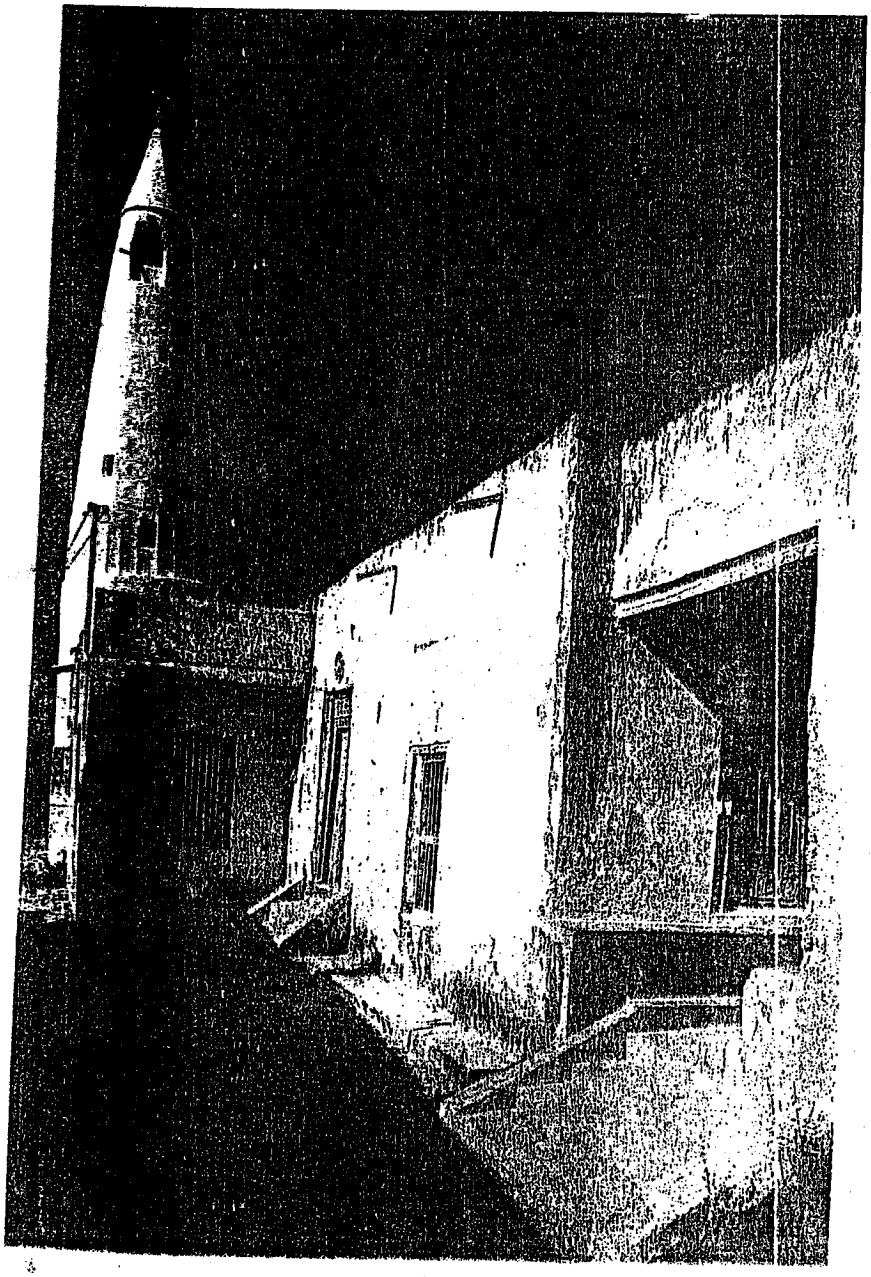

لوحة رقم (٣): مئذنة جامع "شيلا" بجزيرة لامو في كينيا (عن: Horton).

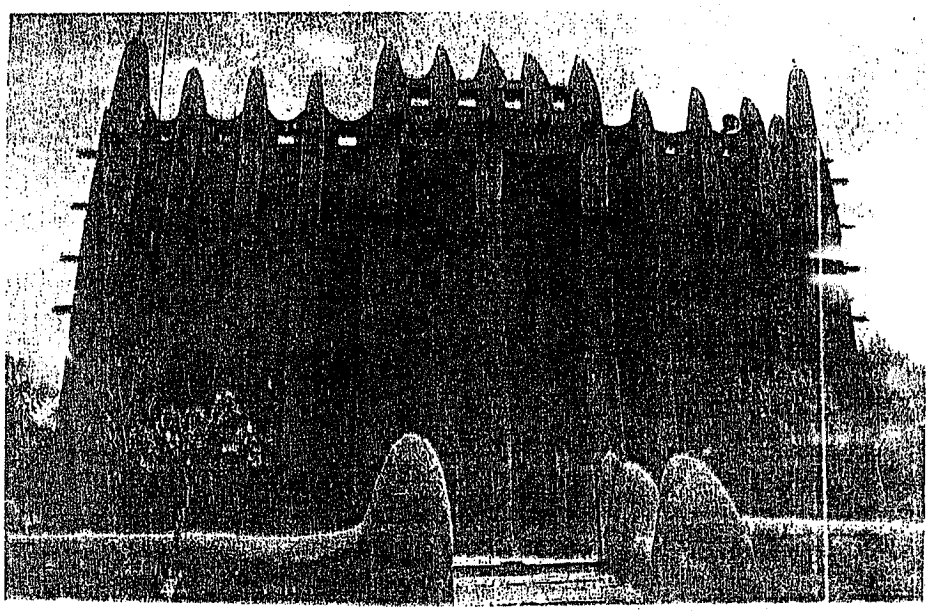

لوحة رقم (٣): جامع جينيه الكبير في مالي.

(عن: خالد السلطاني)

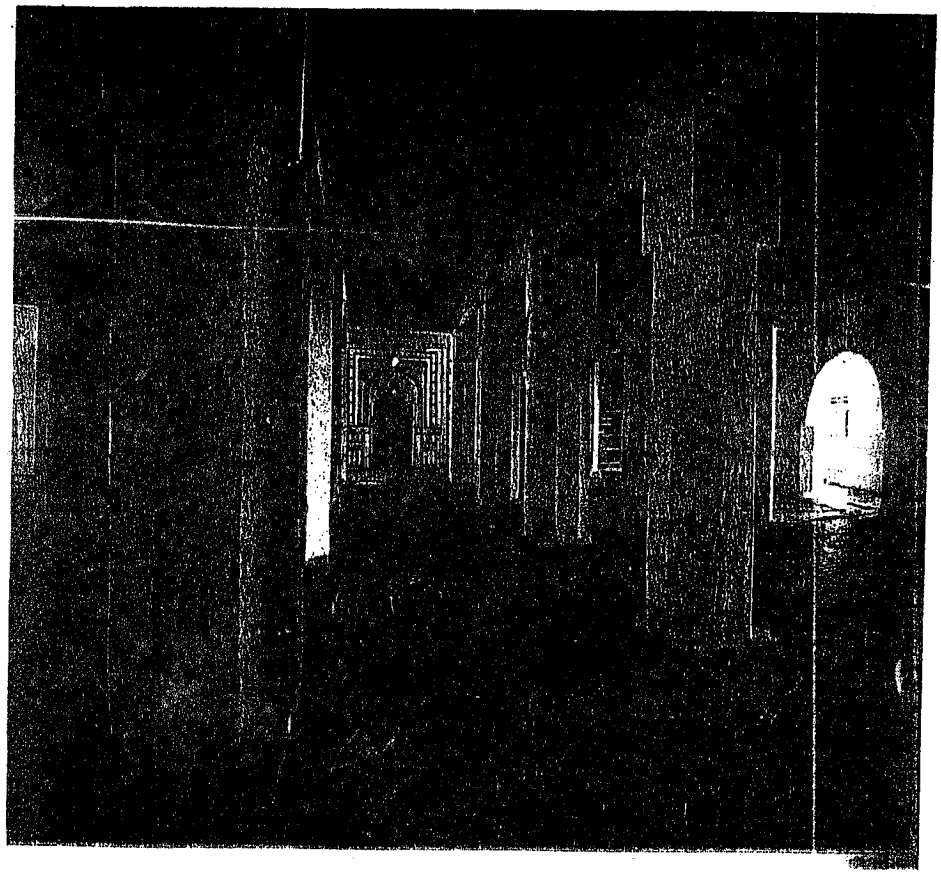

لوحة رقم (٤): المسجد الجامع في "شيلا" بجزيرة لامو.
(عن: Horton)

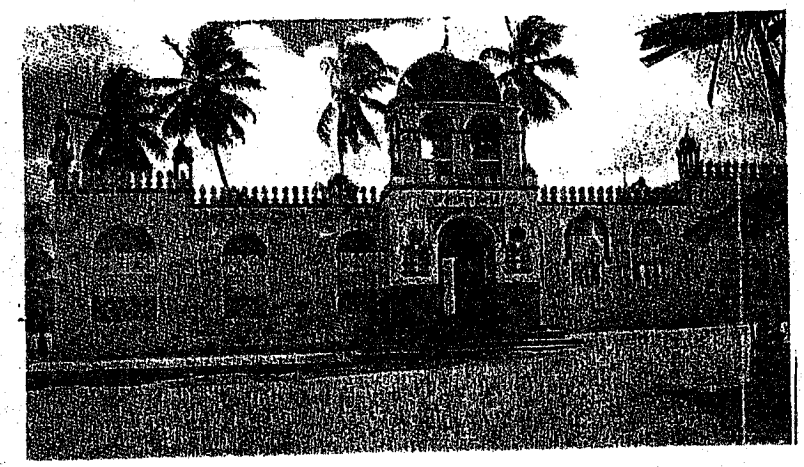

لوحة رقم (٥): مسجد ريادا في جزيرة لامو.

(عن: Horton)

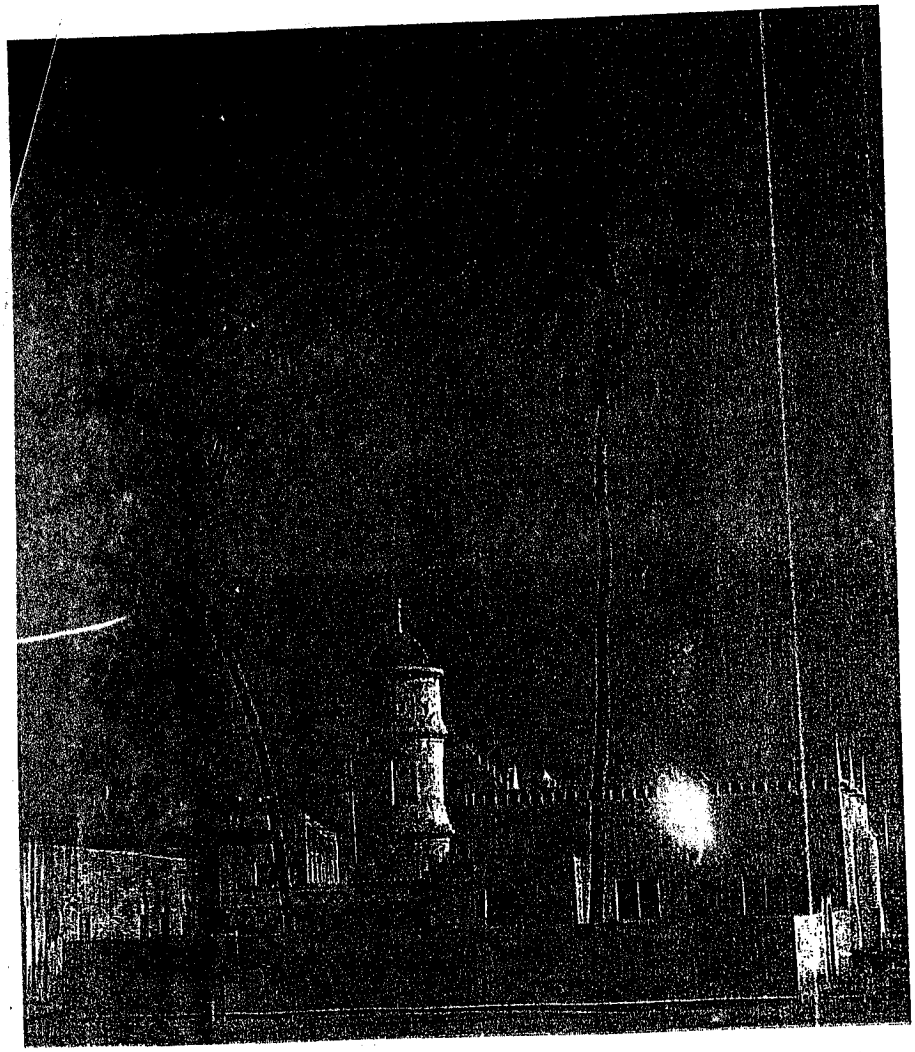

لوحة رقم (٦): مسجد الحداد القديم بقرية السهاريز (ظفار).

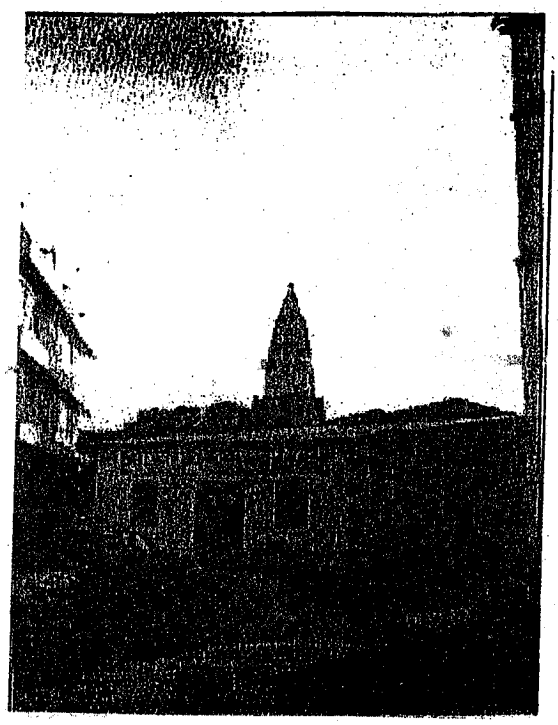

لوحة رقم (٧): مسجد المنارة في زنجبار.

(عن: حسن عبدالله)

لوحة رقم (٨): عقود مسجد المنارة في زنجبار.
(عن: حسن عبدالله)

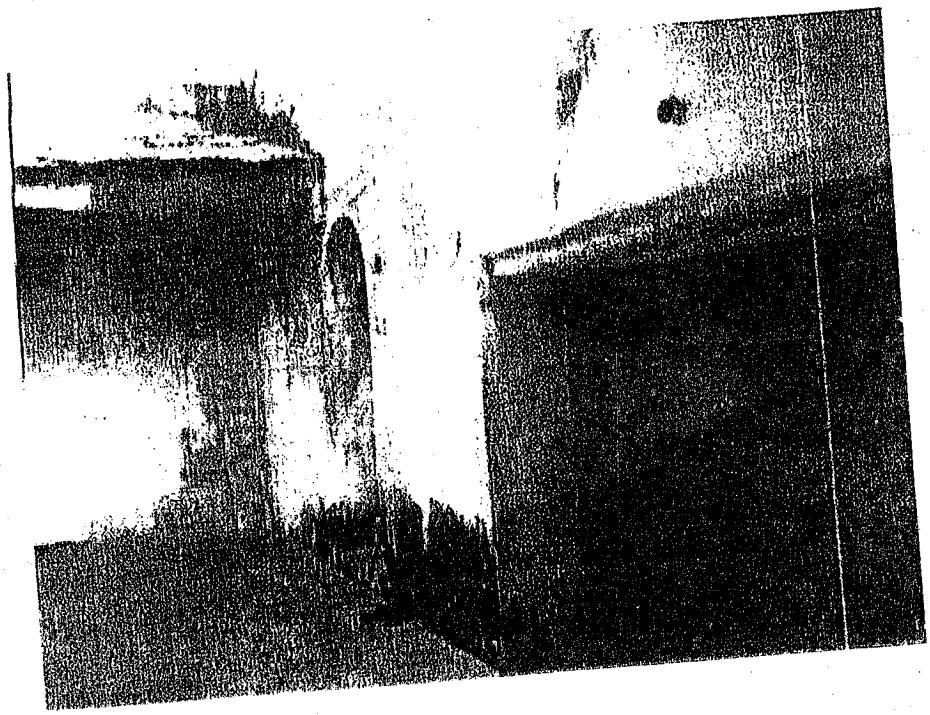

لوحة رقم (٩): الزيادة الغربية بجامع المنارة. (عن: حسن عبدالله)

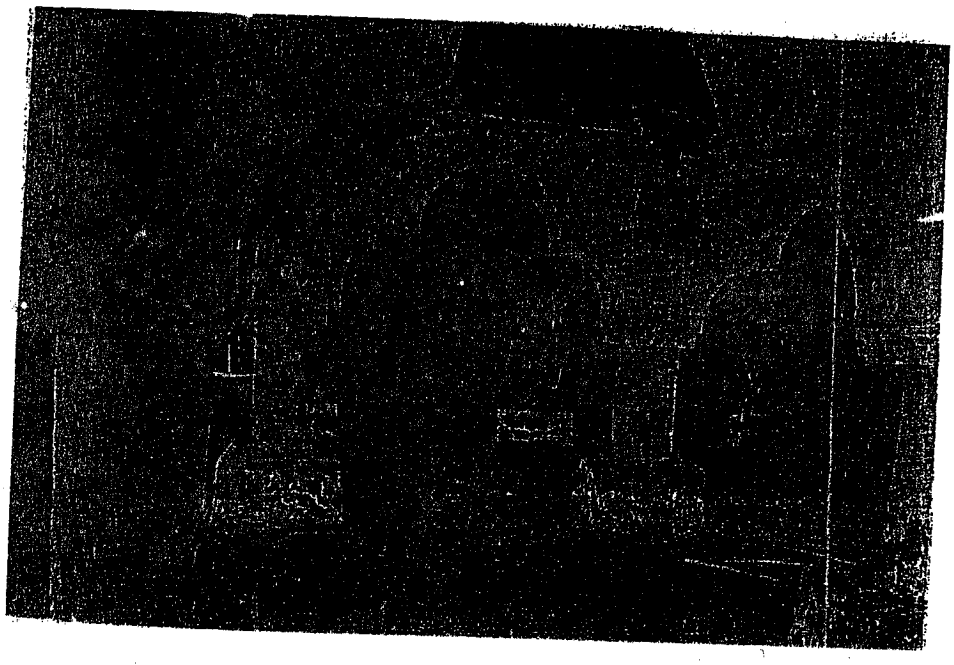

لوحة رقم (١٠): مسجد العقد بولاية شناص.

(تصوير الباحث)

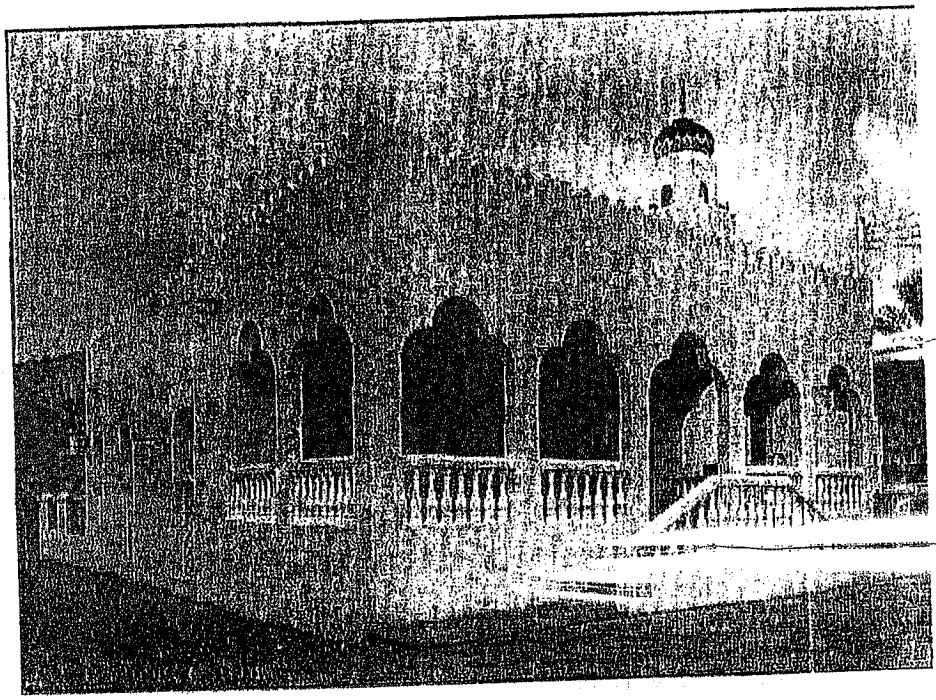

لوحة رقم (١١): مسجد الزرارات بولاية ينقل.

(تصوير الباحث)

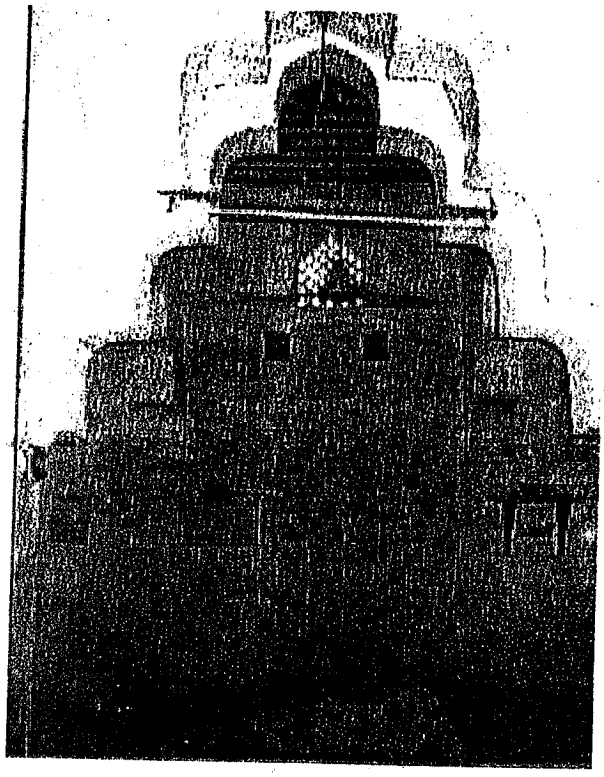

لوحة رقم (١٣): محراب مسجد المنارة بزنجبار.
(عن: حسن عبدالله)

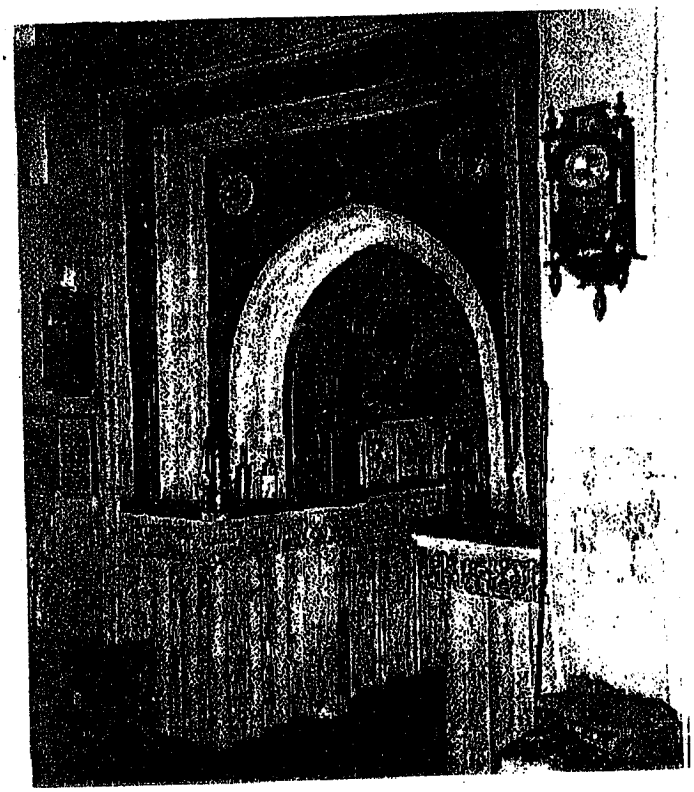

لوحة رقم (١٣): محراب مسجد صغير بالقرب من ماليندي/ زنجبار (١٢ هـ/١٨م).

(عن: Horton)

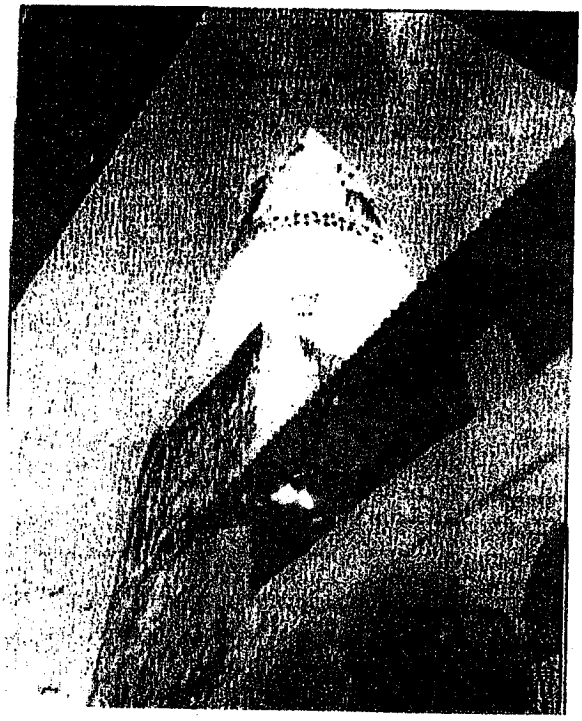

لوحة رقم (١٤): مئذنة مسجد المنارة (عن: حسن عبدالله).

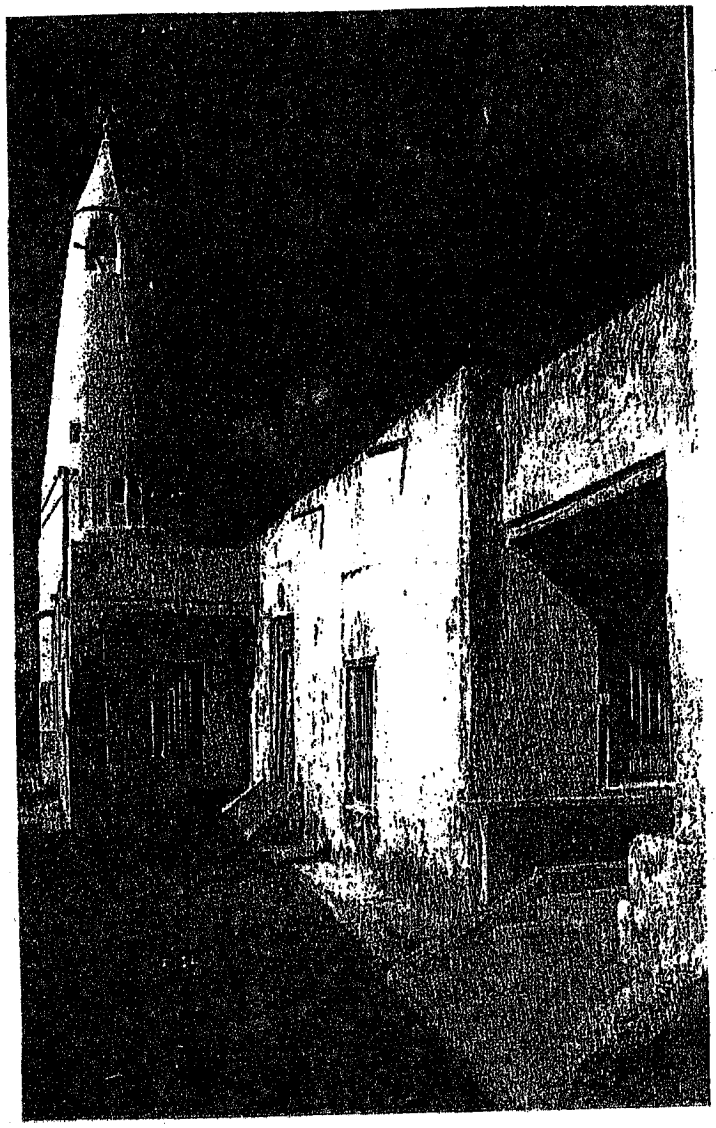

لوحة رقم (10): منذنة المسجد الجامع في جزيرة لامو بكينيا.

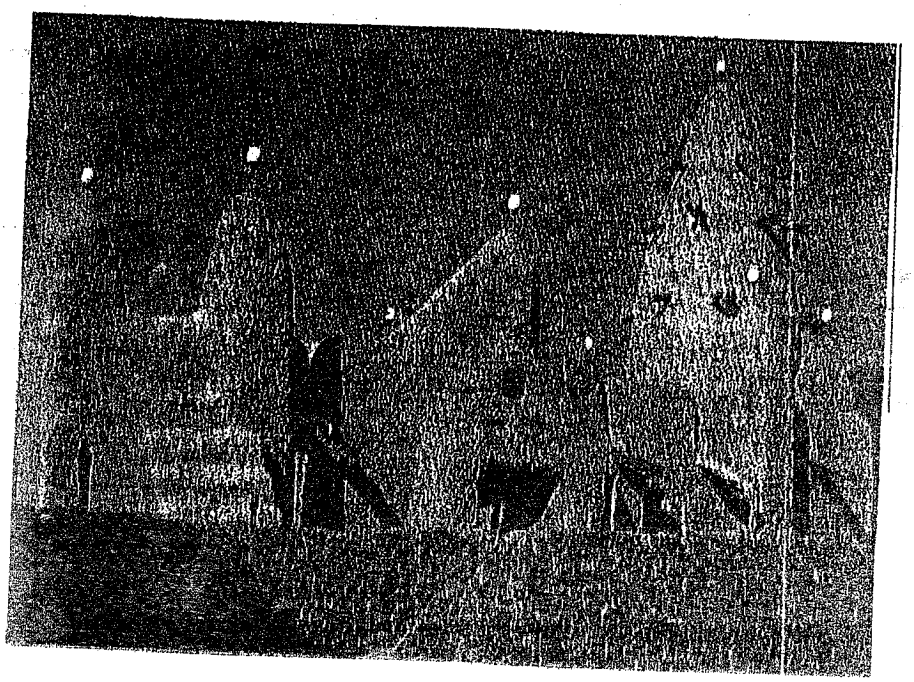

لوحة رقم (١٦): مئذنة وأبراج مسجد بوجوني في مالي.
(عن: خالد السلطاني)

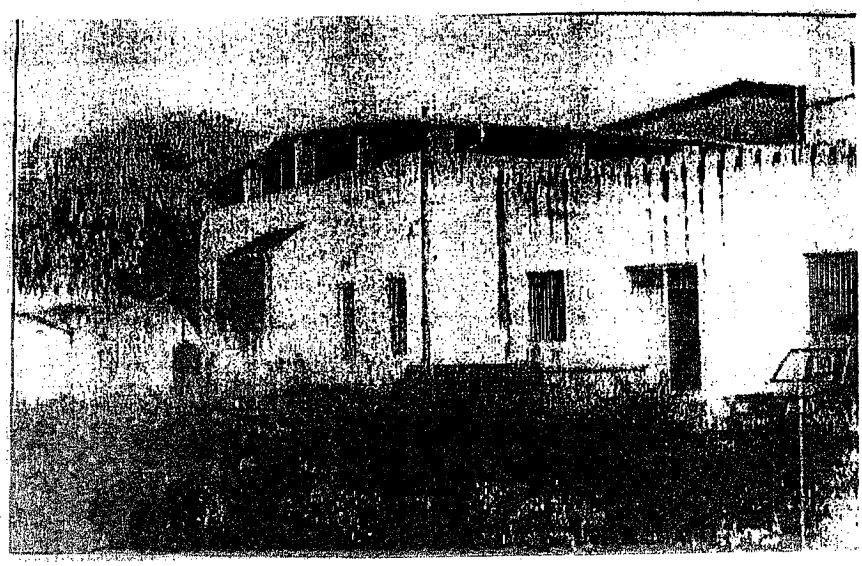

لوحة رقم (١٧): مسجد الفورواني بزنجبار (عن: حسن عبدالله).

لوحة رقم (١٨): عقود مسجد الفوروداني (عن: حسن عبدالله).

لوحة رقم (١٩): بلاطة المحراب بمسجد الفوروداني (عن: حسن عبدالله).

لوحة رقم (٣٠): البائكة الجنوبية بمسجد التقوى بزنجبار.
(عن: حسن عبدالله)

لوحة رقم (٣١): عقود بائكات مسجد آل حمودة بولاية جعلان بني بوعلي – عمان.

(تصوير الباحث)

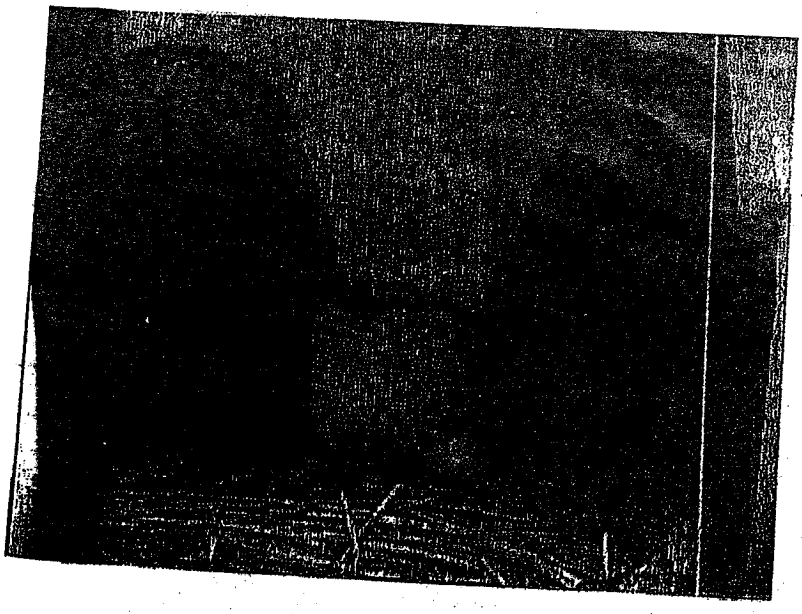

لوحة رقم (٣٣): عقود بالكات مسجد العارض بولاية الحمراء

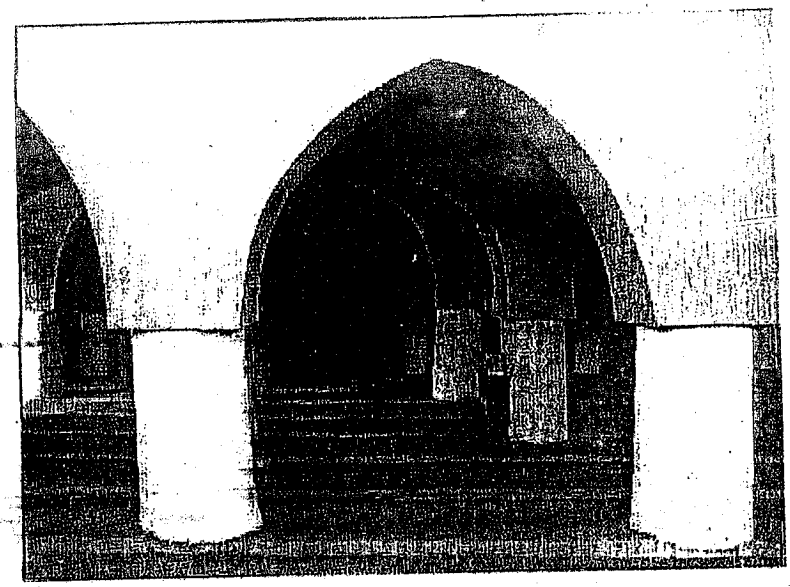

لوحة رقم (٢٣): عقود بائكات مسجد بياضة داخل قلعة الرستاق- عمان.

(تصوير الباحث)

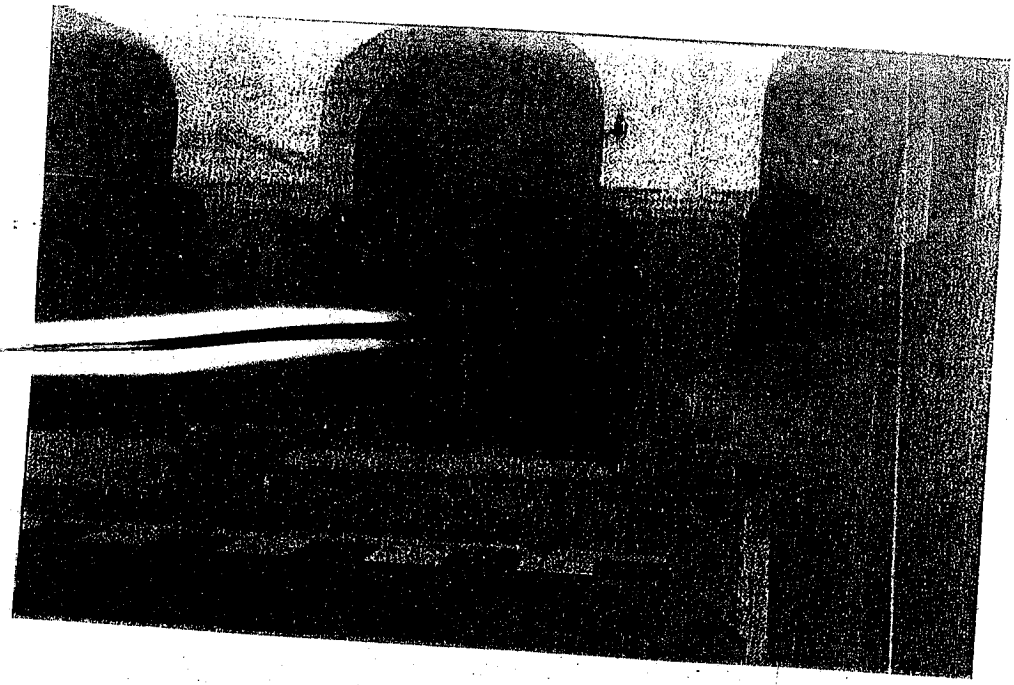

لوحة رقم (٢٤): مسجد السيد حود البوسعيدي بماليندي.
(عن: حسن عبدالله)

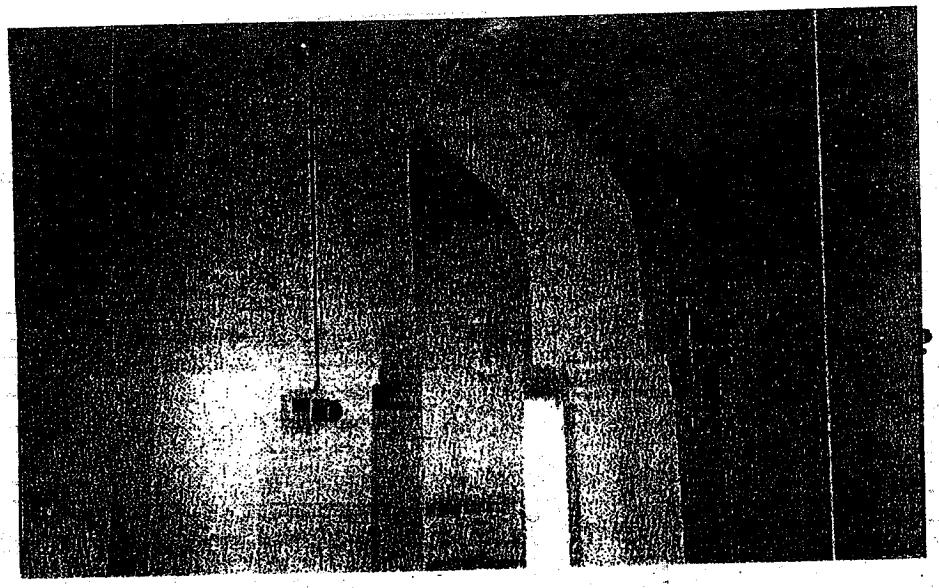

لوحة رقم (٣٥): مسجد عائشة بنت جمعة بزنجبار (العقود الفارسية) (عن: حسن عبدالله).

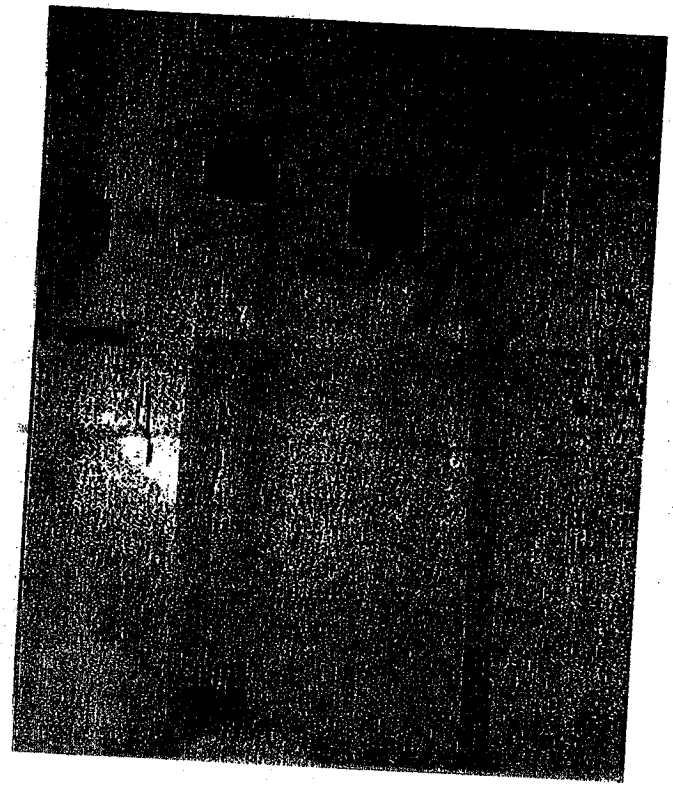

لوحة رقم (٣٦): محراب بمسجد عائشة بنت جمعة بزنجبار.
(عن: حسن عبدالله)

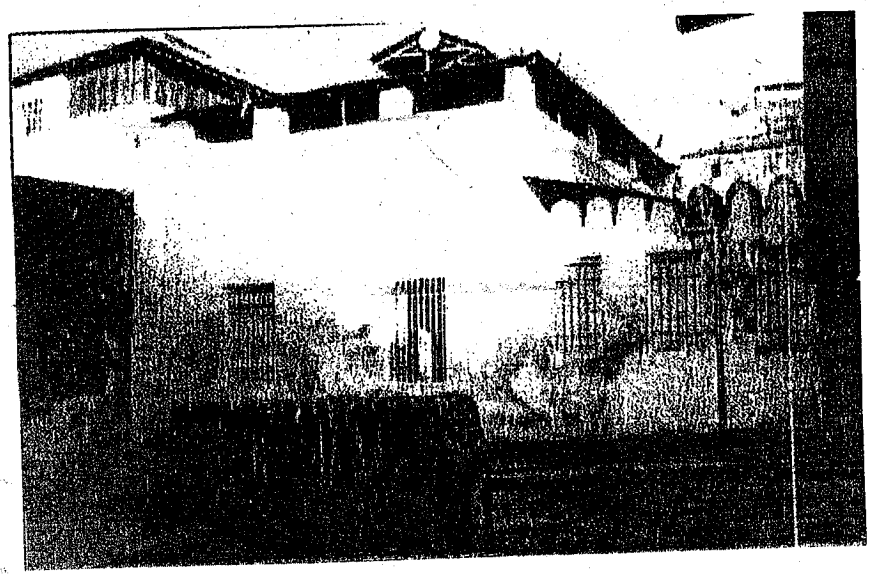

لوحة رقم (٣٧): الواجهة الغربية لمسجد عائشة بنت جمعة. (عن: حسن عبدالله)

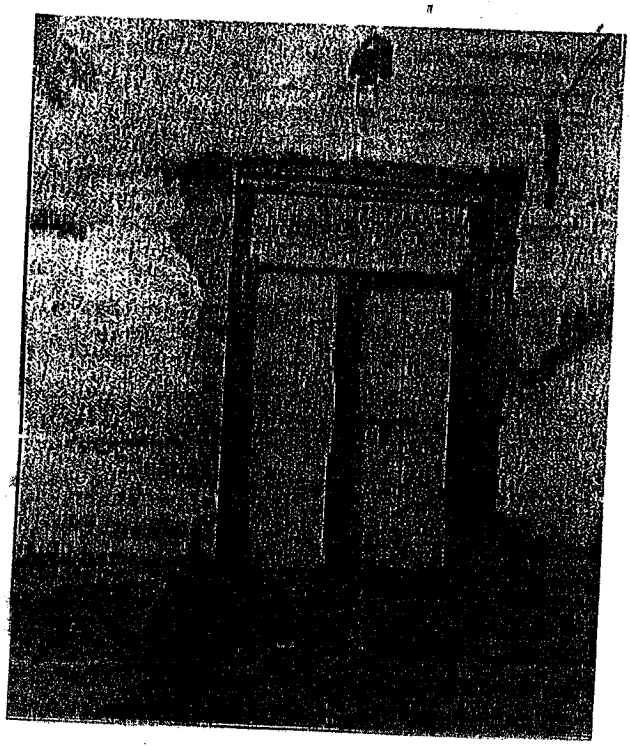

لوحة رقم (٣٨): مدخل مسجد عائشة بنت جمعة.
(عن: حسن عبدالله)

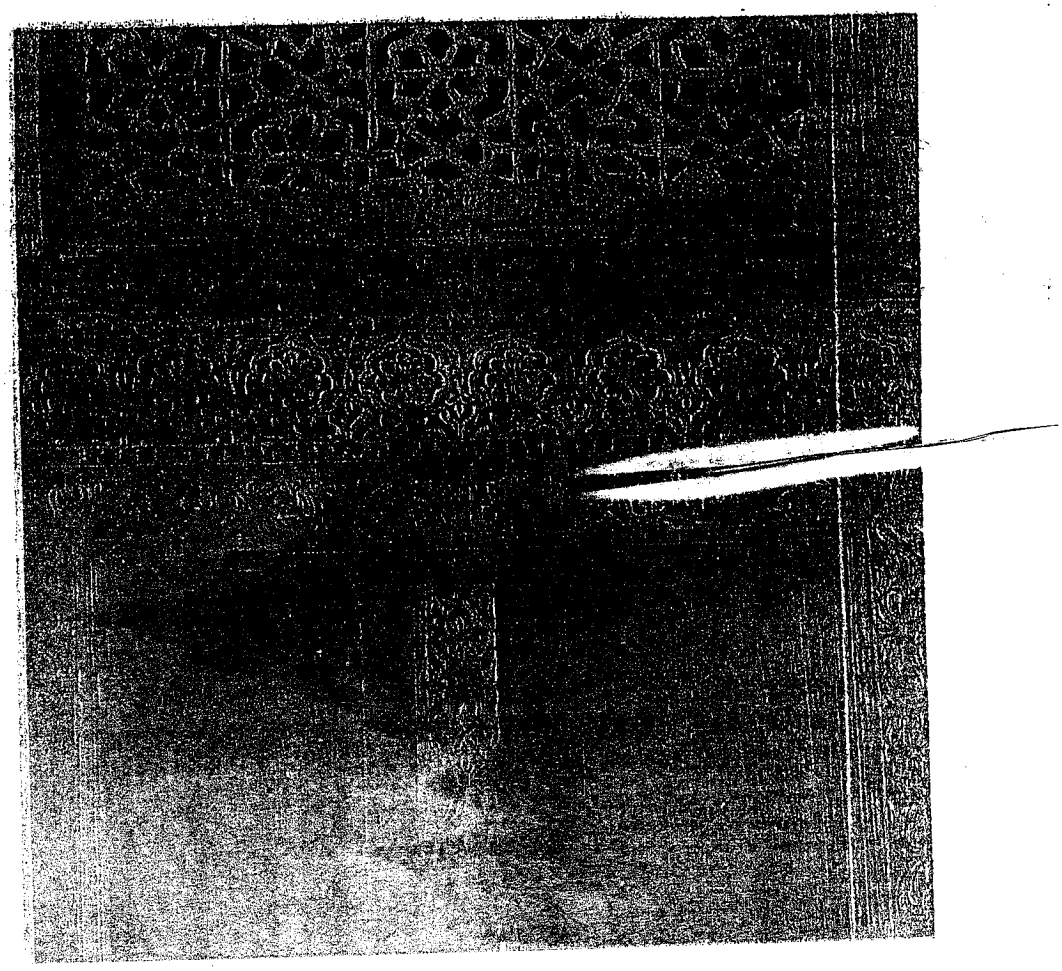

لوحة رقم (٣٩): الزخارف النباتية على أحد الأبواب العثمانية.

لوحة رقم (٣٠): المسجد الجامع في هرار، بأثيوبيا.
(عن: Horton)

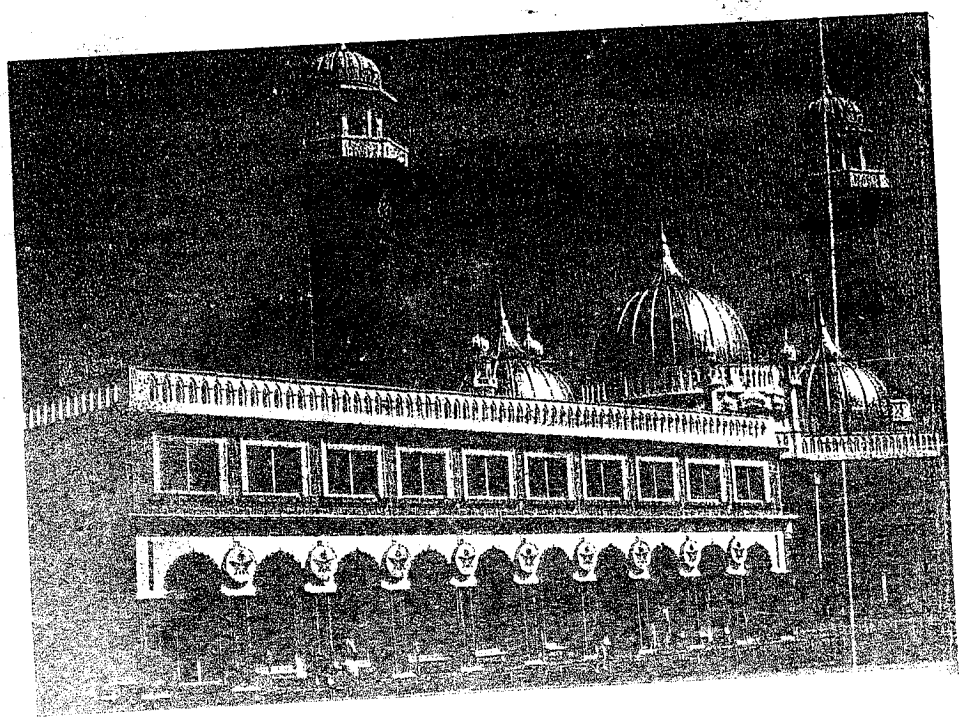

لوحة رقم (٣٦) المسجد الجامع في تجزي- كيد.

(عن: Ziauddin Desai)

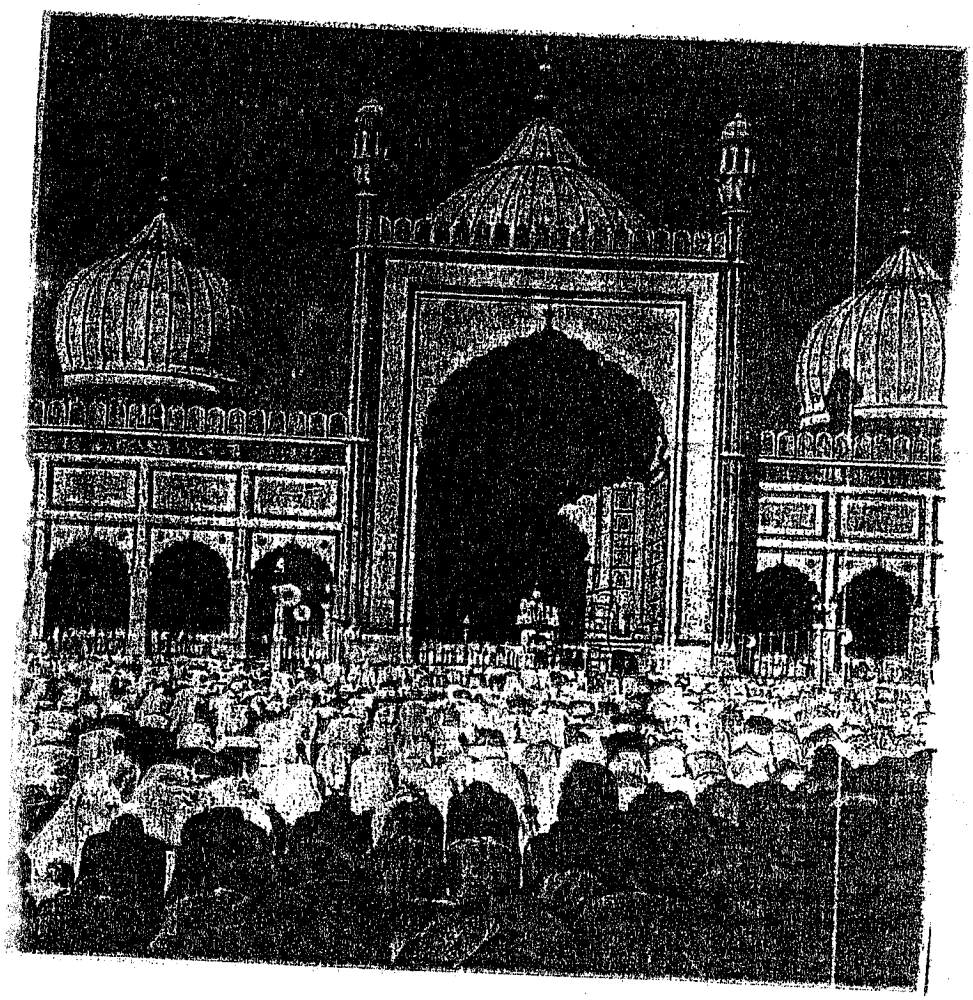

لوحة رقم (٣٣): مسجد الجمعة في مدينة دلهي. (الامبراطور شاه جهان ١٦٥٠- ١٦٥٦م).

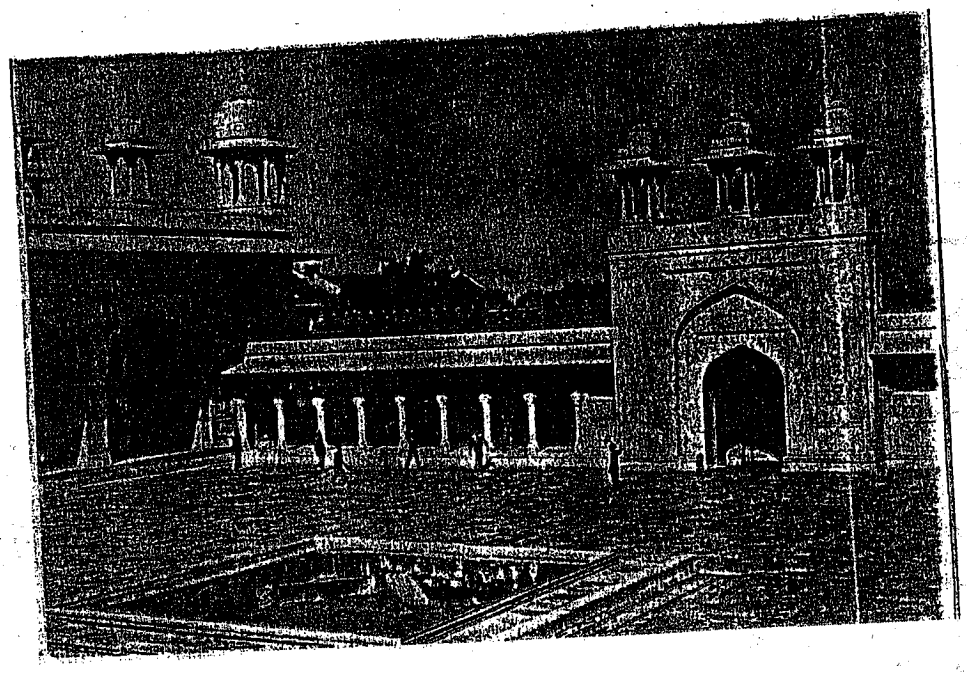

لوحة رقم (٣٣): مسجد موتي (اللؤلؤ) Moti داخل قلعة أجرا بالهند (الامبراطور شاه جهان ١٦٤٦م).
(عن: Ziauddin Deasai)

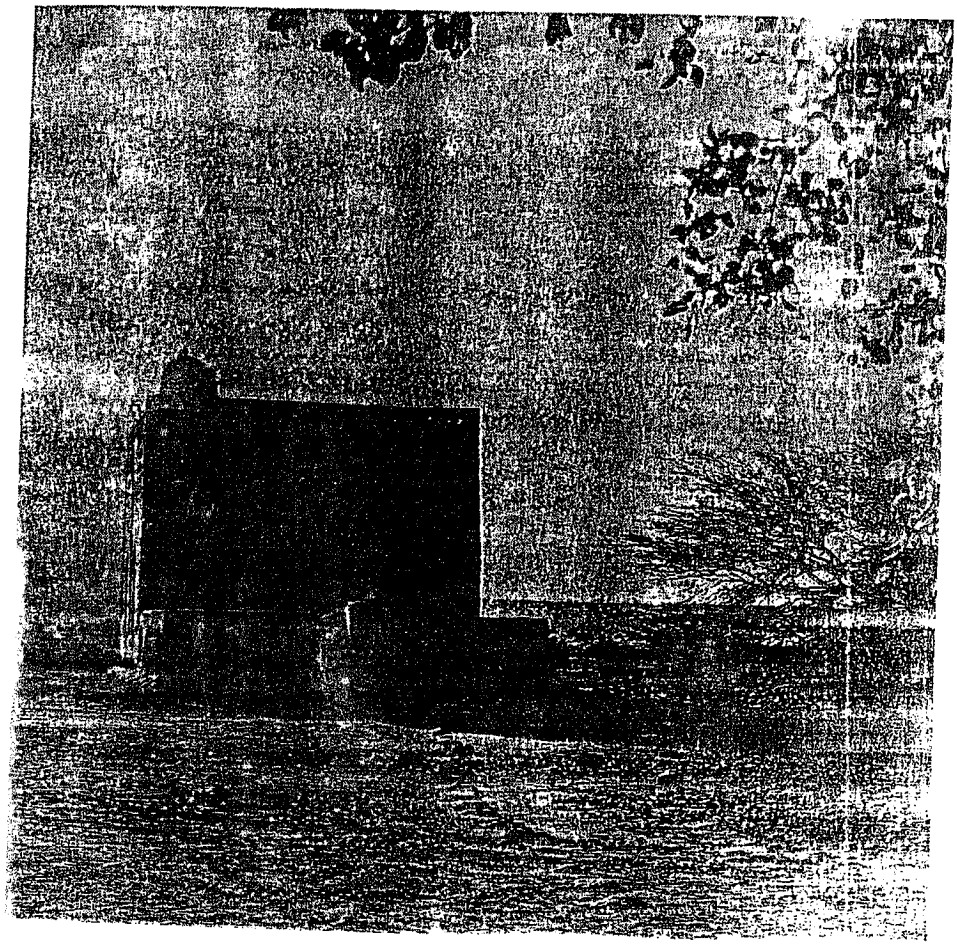

لوحة رقم (٣٤): مسجد فاتح البوسعيدي في بوش (سلطنة عمان)

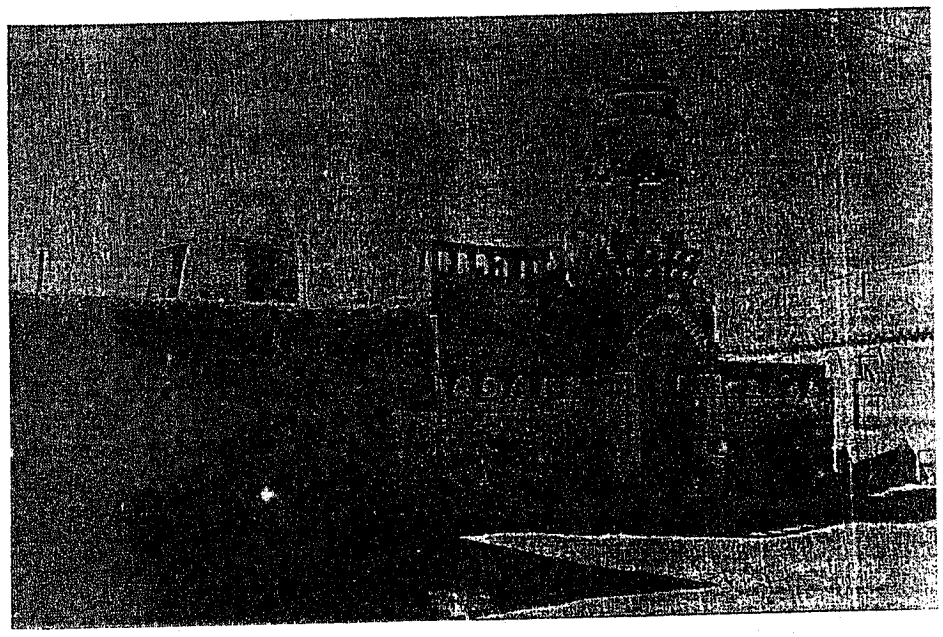

لوحة رقم (٣٥): مسجد صور، وتعلو مدخله منذنة جوسقية (سلطنة عمان)

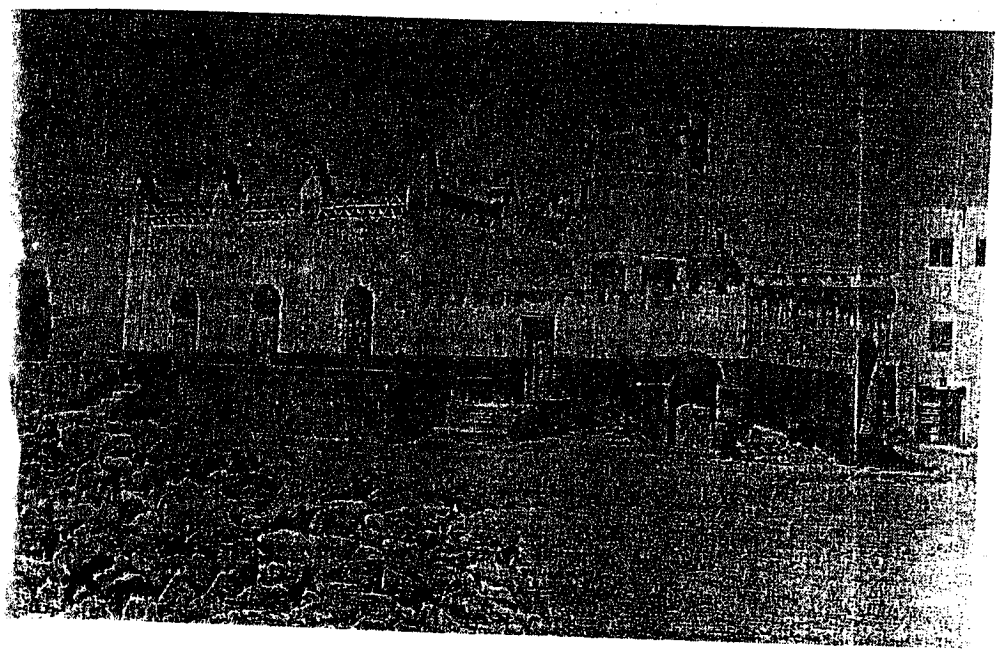

لوحة رقم (٣٦): المسجد القديم في صلالة (هدم سنة ١٩٨٣م) (عن: باولو كوستا)